السيد فرج

شوقي والمتنبي

نظرات في الجندية والحرب

obeikandl.com

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

obeikandl.com

تقـــــديم

ثروت عكاشـــة

وزير الثقافة والإرشاد القومى

إننى مؤمن بأن أى إنتاج مطبوع هو ثروة جديدة فى حصيلتنا الفكرية تؤكد طاقاتنا وتدفعنا إلى التقدم .

فإذا كان هذا الإنتاج عملاً إيجابياً قائماً على الدراسة والبحث والتعمق فيما توارثناه من إنتاج زاد ماله من أهمية فى حياتنا الثقافية .

وقد تصفحت هذا الكتاب الذى أنتجه الصديق الأستاذ السيد فرج عن شوقى والمتنبى وما كان لهما من نظرات فى الجندية والحرب .

وعجب المؤلف من أن تكون للشاعرين الكبيرين هذه النظرات فى الجندية والحرب ، وكنت أنا أعجب لو لم تكن لهما هذه النظرات .

فالأدب والشعر بصفة خاصة انعكاس ناطق لروح الجماعة فى كل عصر من عصور الإنتاج ، ولهـــذا لا يستطيع الأدب أو الشعر أو الفن

obeikandi.com

بصفة عامة أن يكون بمعزل عن روح الجماعة لأنه الصورة الحية النابضة لانفعالاتها .

وقد عبّر شوقى وعبّر المتنبى عن روح العصر الذى عاش فيه كل منهما ، وقد كان المجتمع الذى عاشا فيه مليئاً بما يدفع إلى الجندية والحرب .

ولكنها دائماً حرب دفاع وكبرياء ومقاومة للقدر الآثم على كيان الجماعة ومصيرها .

* * *

إننا ندعو للجندية لتقوية عناصر أمتنا .

ولا نفكر فى الحرب إلا لدعم قواعد السلام .

والله الموفق إلى ما فيه الصواب ؟

obeikandl.com

فكرة الكتاب

شوقى ، أمير الشعراء ، الذى كانت له فى الجندية والحرب نظرات لا يوفق لمثلها غير قائد موفور الحكمة والتجربة ، وقد سجلها فى ثمانى قصائد ذات سبعمائة وأربعة وسبعين بيتا وروايتين تمثيليتين خالدتين : قمبز ، ومصرع كليوباتره . فضلا عن أبيات عديدة متفرقة رائعة المبنى والمعنى .

* * *

والمتنبى الشاعر الجندى الذى « ملأ الدنيا وشغل الناس » وقال فى الحرب ثمانى عشرة قصيدة تحتوى على سبعمائة وسبعين بيتاً من جيد الشعر ونادره . .

* * *

لقد أعدت النظر فى آثار الشاعرين العربيين الكبيرين بمنظار الظروف الحاضرة التى نعيش فيها مع ركب القومية العربية الزاحف لاستكمال الوحدة والحرية والعزة ، فوجدت أن كلاً منهما قد ترك رصيداً ضخماً من الأفكار والآراء التى تنبه الحمية القومية وتدعو للجهاد وتنظم الدفاع عن الوطن . . إلى ملاحظات ونظرات فى آداب الجندية ومبادئ الحرب لا يفطن إليها إلا القائد الرشيد الذى عركته حياة الجندية وأدبه طول القتال .

* * *

إن هذا القريض الذى يأخذ بمجامع النفوس لا ينفرد بجماله وجلاله فحسب ، ولكنه يشكل خطوطاً عريضة تكفل سلامة الوطن ووحدة الأمة العربية ، وإنشاء جيش وطنى قوى وقيادة منزهة ، وآداب وتقاليد تهدف فى مجموعها إلى استكمال الوحدة والقوة وتدعيم صروح الرخاء والسلام .

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

شـــــوقى

١٨٦٨ – ١٩٣٢ م

الحرب فى حق لديك شريعـــة ومن السموم الناقعات دواء
والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا فالمجـــد ممـــا يدعون براء
والحرب يبعثها القوى تجـــبراً وينوء تحت بلائهـــا الضعفاء

obeikandl.com

obeikandl.com

أحمد شـــوقى

ولد بالقاهرة سنة ١٨٦٨ من أسرة عريقة تحظى برعاية الأسرة الحاكمة وقد ترجم لنفسه فقال :

« إنى عربى ، تركى ، يونانى ، جركسى . أصول أربعة ، فى فروع مجتمعة ، تكفله لها مصر ، كما كفلت أبويه من قبل . وما زال لمصر الكنف المأمول ، والنائل الجزل . على أنها بلادى وهى منشئى ومهادى ومقبرة أجدادى ، ولد لى بها أبوان ولى فى ثراها أب وجدان ، وببعض هذا تحبب إلى الرجال الأوطان » .

وقد تلقى علومه فى مكتب الشيخ صالح بحىّ السيدة زينب ، ثم مدرسة المبتديان الابتدائية ، فالمدرسة التجهيزية حتى إذا أتم دراسته الثانوية دخل مدرسة الحقوق وقضى بها سنتين ، ثم انضم إلى قسم الترجمة ونال بعد سنتين إجازة الترجمة .

وكان يقول الشعر أيام الطلب ، ونظراً لصلته بالقصر أرسل فى بعثة إلى فرنسا لإتمام دراسته فى الحقوق والآداب بجامعتى مونبليه وباريس . وقد أهلته هذه البعثة لزيارة دول أوروبا ، فلما عاد إلى مصر ألحق بحاشية

الخديو ، وكان يمثل مصر فى المؤتمرات الأدبية والثقافية ، ثم صار شاعر الخديو عباس ، وأنيس مجلسه ورفيق رحلته .

ولما عزل الخديو شرد الانجليز أصدقاءه ، وكان نصيب شوقى الإبعاد عن مصر ، فأقام فى الأندلس حيث انقطع للدراسة والفسحة والتجول والشعر ، حتى إذا عاد إلى أرض الوطن سنة ١٩٢٠ كان الشاعر المجلى والأديب الخصيب .

وقد برع شوقى فى مجالات الشعر القديمة والحديثة ، وساير أحداث زمانه ، فكان بحق شاعر الأمة العربية التى أجلسته على أريكة الشعر أميراً للشعراء فى احتفال باهر سنة ١٩٢٧ .

ولشوقى ديوان شعر اختار له اسم الشوقيات فى أربعة أجزاء ، تضمنت فرائد النظم وعيون الشعر فى شتى الفنون وكافة المناسبات . وله ديوان نثر هو « أسواق الذهب » ؛ قال فيها : « هى كلمات اشتملت على معان شتى الصور وأغراض مختلفة الخبر جليلة الخطر منها ماطال عليه القدم وشاب عن تناوله القلم ، وألم به الغفل من الكتاب والعلم ، ومنها ماكثر على الألسنة فى هذه الأيام وأصبح يعرض فى طريق الأقلام ، وتجرى به الألفاظ فى أعنة الكلام من مثل : الحرية والوطن والأمة والدستور والإنسانية وكثير غير ذلك من شئون المجتمع وأحواله وصفات الإنسان وأفعاله . . »

وله أيضاً أرجوزة ضمنها كتاب : « دول العرب وعظماء الإسلام »

ولم تقف شاعرية شوقى عند هذه الحدود المعروفة ؛ وإنما جاء بالجديد

فى القصص المسرحية التى نظمها وهى مصرع كليوباترة ، مجنون ليلى ، على بك الكبير ، عنترة ، الست هدى ، أميرة الأندلس ، شيطان بنتاءور .

وقد حظى شوقى بتكريم عظيم فى حياته ، فكان مدوى الاسم ، ذائع الشهرة جليل المقام ، يحظى بالتقدير الاجتماعى والاحترام العام ، تتسابق الصحف إلى أخباره ، وتتنافس فى تسجيل قصائده ، ولم تقف شهرته عند حدود وطنه ؛ بل كان معروفاً فى الأوساط الأدبية والدبلوماسية فى كافة بلاد العالم ، وكان وطنه الوطن العربى بأجمعه ، وكان هو شاعر الأمة العربية بحق ، ولسانها المعبر ، وصوتها المسموع .

وقد فارق شوقى دنيا الناس فى شهر سبتمبر ١٩٣٢ ولكنه بقى حياً بآثاره ، وهو ما تنبأ به عندما قال :

ما مات من حاز الثرى آثاره ... واستولت الدنيا على آدابه

وسيبقى شوقى حياً ما بقيت أشعاره تتردد . كتب شعره للخلود ، شعره كتب له الخلود :

شعر من النسق الأعلى يؤيده ... من جانب الله إلهام وإيحاء
من كل بيت كأى الله تسكنه ... حقيقة من خيال الشعر غراء
وكل معنى كعيسى فى تغرده ... جاءت به من بنات الشعر عذراء
أو قصة ككتاب الدهر جامعة ... كلاهما فيه إضحاك وإبكاء

شوقى . . والجندية والحرب

أكاد أحس دهشة القارئ من عنوان الكتاب ، وأشعر بحيرته ، وربما إنكاره لرأس الموضوع . .

شوقى ، والجندية والحرب !

ما لشوقى وهذا ؟

إنهم يعرفون شوقى جيداً ، صحبه ومريدوه ومعاصروه الذين رأوه رأى العين ، واستمعوا له وقرءوا شعره ، وقدروه قدره ، وعاينوه تماماً ، شكلا وموضوعاً !

وإنهم يعرفون شوقى ، الملايين من الأدباء وطلاب الأدب والثقافة الذين عاصروه أو جاءوا بعده ، فاجتذبهم بجيد نظمه وعذب لفظه ودقة مرماه وسلامة قوله ، وإنهم ليتمايلون وراء قصيده مسحورين بما أنشأه للناطقين بالضاد من روائع شتى فى كافة فنون الشعر ، من وصف وحكمة ووطنية إلى مديح وتهنئة ورثاء وغزل . . .

هنا وجه العجب .

obeikandi.com

أو هنا دليل العبقرية .

* * *

تهادت إلى شوقى إمارة الشعر العربى فى العصر الحديث ، فقد كان اللسان المعبر والصوت المسموع . وثب إلى كل فنن ، وحلق فى سماء العربية فرصعها بالنجوم الزاهرة ، وغاص فى أعماقها ، فكانت له الدرر اليتيمة ، ودلف إلى كل مرتع من مراتع القريض فكان له النصيب الأوفى والقدح المعلى :

وقد نظم الشعراء وكتب الكتاب واجتهد النقاد فتناولوا شعر شوقى فى حياته وبعد مماته ، وبرزوا فى الكشف عن مواهبه الباهرة وفنونه المتنوعة .

وقصارى ما قيل ، وما يقال عن شوقى إنه أمير شعراء زمانه ، وأنه أحد عمالقة الشعر العربى الخالدين فى جميع الأزمان .

وقد بايعته الأمة العربية أميراً للشعراء ، ورفعه إنتاجه الأدبى إلى مرتبة الصدارة ، فهو أحد ثلاثة أو أربعة هم فرسان الشعر العربى فى التاريخ كله .

غير أن الذى لفت نظرى واستحوذ على تفكيرى أكثر من غيره ، هو إنى التقيت بشوقى فى ساحة صعبة المراس عصية على أمثاله ، فلم أتوقع أن ألاقيه فيها هكذا مبرزاً ومهولا ، بل منفرداً بلوائها قابضاً على ناصيتها . . تلك هى ناحية الجندية والحرب .

لقد دخل الشاعر الرقيق ، النحيل الخجول ، الأرستقراطى المتنعم إلى ساحة المعركة : ولم تكن زورة مصادفة ، ولا مروراً عابراً ؛ بل دخولا فى الحرب ، ومرابطة فى خط النار ، واشتراكا فى وضع الخطط واجتهاداً فى

الرأى فى التنظيم والتدريب والاستعداد ، ونفيراً مدوياً لبنى قومه أن الجيش هو سناد الأمة ، وأنه لاغنى للبلاد عن جيش يحمى حماها ويؤمن ركب زحفها إلى الحياة والحرية والكرامة .

إن « شوقى » الذى كانت غاية غاياته أن يعيش فى سلام مع نفسه ومع الناس ، والذى كان ينآى عن المكان المزدحم وينصرف عن المجادلة العنيفة ويظل قلقاً حائر الفكر . . شوقى الذى لا يمكن أن يشهد قتالا ولا أن يقلب فى كفه سلاحاً . . رأيته من خلال شعره قائداً رهيباً ينقض على خصمه فى قسوة ويضرب بفظاعة ، ومفكراً عسكرياً حصيفاً يضع تقاليد الجندية ويرسم حدود المعركة ، وناقداً حربياً ثقة ، يصف المشاهد الرهيبة وأسلحة القتال ، ويشير إلى مواطن النقص ومواضع الضعف ، وجندياً كبيراً يرسم لبلاده الخطة المثلى فى التنظيم والتدريب والاستعداد ورفع الروح المعنوية وتوحيد الجيش والأمة فى كتلة قوية صلبة .

وقد استطاع شوقى أن يدلف إلى أدق الأسرار العسكرية ، ويغوص فى أعماق الفن الحربى ، فيحدثنا عن ذات مبادئ الحرب التى بدونها لايظفر بالنصر ، ويحيطنا علماً بالأسلحة الخافية كالجاسوسية والطابور الخامس ، قبل أن يحدثنا عنها الجنرال فرنكو بربع قرن من الزمان ، ويكشف عن المواقع والعقبات التى تعترض تقـــدم الجيوش والمشكلات التى تنشأ داخل المعسكر فتفل العزم وتقوض الصرح

• • •

هذه ناحية من نواحى الإعجاز فى شعر شوقى .

وهى دلالة فى مقدمة ما يستدل به على عبقرية شوقى .

ولست أعرف شاعراً قبله ولا بعده خاض هذا المعترك الشاق المستعصى وخرج منها بهذا الحظ العظيم من الإدراك والفطنة والتوفيق غير أبى الطيب المتنبى .

obeikandl.com

الأمة بجيشها

لقد فطن شوقى إلى أن العالم يتطور فى ظل القوة العسكرية ، وأنه لامندوحة للأمة عن جيش قوى تذود به عن حماها ، وتحفظ به أمنها وكرامتها ، ولو قدر أن يجتمع للبلاد كل أسباب الغنى والنعيم وتتوافر لها جميع عوامل الرخاء والرغد ، . ولكنها بغير جيش تصبح حمى مباحا وغابا بغير أسد .

إنه يعلن هذه الحقيقة فى سهولة ويسر ، ويدخلها إلى عقلك ونفسك بأسلوب رائع وطريقة ممتعة .

لقد جاء أحد جواسيس الفرس ، من مصر بمعلومات لها قيمتها ؛ قال :

وجدت وجوهاً عليها النعيم ودنيا على جانبيها الرغد
وسوقا تفض وسـوقا تقام وخلقاً يروح وخلقاً يفد
وشعباً على خطة فى الحياة ونظم به فى الشعوب انفرد
ولم أر مثـل صناعاتهم سمواً وبعـداً على المنتقد
ولا مثـل أخلاقهم مبلغاً من الفضل أو من خلال الرشد

. . فهل هذا كله يكفى ، وهل هى أمة ذات حظ عظيم ؟

لقد فرغ المتحدث من إلقاء تقريره ، ولكن صاحبه لم يجده وافياً . إن المعلومات ما زالت ناقصة ، « والشىء المهم » لم يأت ذكره ، فراح يسأل :

obeikandi.com

ولكن زفيروس كيف الجنود ؟ وكيف الحديد ؟ وكيف الزرد ؟
وهل كنت تلقاهمو فى الطريق وتنظر أظفارهم واللبد !

فيجيب الجاسوس بالحقيقة المرة ، أو قل يجىء بالسر الخطير :

أخى ما رأيت بمصر الجنود ولم يأخذ العين منهم أحد
سوى فتية من جنود القصور وضباطها فى الثياب الجدد
يروحون فى الخوذ اللامعات ويغدون فى الذهب المتقد !

وهنا . . يثب شوقى إلى الهدف ، ويعلنها عالية مدوية . .

إذن هو ملك بلا حائط رقيق الأواسى ضعيف العمد
خلا الوكر من صرخات العقاب ونامت عن الغاب عين الأسد
طواويس فى عرصات القصور تروق تهاويلها من شهد
ولا يعجبنّك سلم يرف وخير يفيض ومال لبد
وآثار فن تروع العقول وأجساد موتى تعيش الأبد
فما أنت راء سوى جنة هى الخلد أو طيفه فى الخلد

. . وإذن فليس ينفع هذا البلد ما يحظى من نعيم وغنى ؛ لأن الوكر خلا من العقاب والغاب من الأسد ، فالأمة بجيشها ، وإلا فماذا يمنع النازلة إذا أقبلت والعاصفة إذا هبت . .

يهب عليها غداً عاصف من الفرس أنى تمشى حصد

وهذا المعنى يظل يلح على خاطر شوقى فيصدر عنه فى أكثر من مناسبة ويدفعه إلى تنبيه قومه كلما واتته فرصة أو سنحت بادرة ، فيقول :

وما الملك إلا الجيش شأناً ومظهراً ولا الجيش إلا ربه حين ينسب

ويقول :

وما نيـــل المطالب بالتمـــنى ولكن تؤخـــذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منـــال إذا الإقدام كان لهم ركابا

* * *

ولكن على الجيش تقوى البلاد وبالعـــلم تشتد أركانها

* * *

ومن كان منسوباً إلى دولة القنا فليس إلى شيء سوى العز ينسب
ومن شرف الأوطان ألا يفوتها حســـام معزّ أو يراع مهذب

* * *

يا معشر الإسلام فى أسطولكم عزّ لكم ووقاية وســـلام
سيل الممالك جارف من شدة وقوى ، وأنتم فى الطريق نيام
حب السيادة من شمائل دينكم والجدّ روح فيـــه والإقدام
لو تقرءون صغاركم تاريخه عرف البنون المجد كيف يرام

* * *

فقل لبان يقول ركن مملكة على الكتائب يبنى الملك لا الكتب
لا تلتمس غلبا للحق فى أمم الحق عندهم معنى من الغلب
لا خير فى منبر حتى يكون له عود من السمر أو عود من القضب
وما الســـلاح لقوم كل عدتهم حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب

obeikandl.com

الحرب . . والسلام

الحرب حقيقة ملازمة وظاهرة من ظاهرات الحياة ، لا سبيل إلى دفعها ولا مفر من الاستعداد لها . إن الجميع ينفرون من الحرب ويشتهون سلما يعيش الناس تحت رايته فى حرية ونعيم ورخاء . . ولكن ما السبيل إلى توقى الشر إذا ذرت قرونه ودفع العدوان إذا أقبل بخيله ورجله ! وما ضمان الحرية والسلم فى عالم اليوم ، وكيف تصان المبادئ والنظم والمعتقدات ؟

فلنستمع لرأى شوقى :

الحرب فى حق لديك شريعة ... ومن السموم الناقعات دواء
والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا ... فالمجد مما يدعون براء
والحرب يبعثها القوى تجبراً ... وينوء تحت بلائها الضعفاء

هذه هى الحرب . . إما عدوان وإما دفع عدوان ، وإنها تجبّر القوى الباغى أو إنها ذريعة صاحب الحق .

وإذن فالحرب — عند شوقى — غاية ولها حدود ، الغاية هى نصرة الحق ، والحدود هى صيانة الحمى ؛ أما التعدى والطغيان ، وأما السلب والنهب ، وأما التدمير والفظائع بعد المعركة . . فخارج الحدود .

فشوقى يهلّل للحرب ضد الضلال والجهالة ، ويحتفل بالحرب لحماية الوطن مما يدبره الخصوم ، بل ينفخ فى البوق حين يشعر بتجمع السحب ، ويدعو

obeikandl.com

لليقظة والاستعداد والمبادرة . . حتى إذا انكشفت الغمة وطاشت الضربة وسلم الحمى ، فهو لا يقول بالانتقام ولا البطش . ولكن بالهدنة وحقن الدماء . وبهذا تصبح الحرب ذات حدود وغايات وتصبح الجندية ذات تقاليد ومبادئ :

صلح عزيزى على حرب مظفرة ... فالسيف فى غمده والحق فى النصب
يا حسن أمنية فى السيف ما كذبت ... وطيب أمنيته فى الرأى لم تخب
خطاك فى الحق كانت كلها كرم ... وأنت أكرم فى حقن الدم السرب
حذوت حذو الصلاحيين فى زمن ... فيـــه القتال بلا شرع ولا أدب
لم يأت سيفك فحشاء ولا هتكت ... قناك من حرمة الرهبان والصلب
سئلت سلما على نصر فجدت بها ... ولو سئلت بغـــير النصر لم تجب

فهناك إذن دعاة الحرب الطامعون فى المزيد من السيطرة والتحكم والسلطان ، وهنا قادة حرب لم يجدوا منها مناصا لدفع الفوضى والضلال والعدوان ، والفريقان معروفان لشوقى تماما :

همـــة الفاتحين حكم وقهر ... ولك الهمة التى هى أبعـــد
ليس من يفتح البلاد لتشقى ... مثل من يفتح البلاد لتسعد

وهو فى هذا الصدد ، يحدثنا عن صفحة – ليست من الصفحات البيض فى تاريخنا القـــديم – وفيها تقاعسنا عن الاستعداد ، وأخطأنا فى الاحتياط فكرثتنا كارثة الغزو الذى شنّه الطاغية المشهور فى التاريخ باسم قمبيز .

فيم كان يحارب قمبيز ؟ ولأى سبب كان يزهق الأرواح ويسيل الدماء أنهاراً . . ؟

فى غـد تدخل مصرا بنت فرعون ذليـله
وترى السيف مخـوفا وترى النـار مهوله
وترى النيـل دما والأرض جرداء محوله
لا أناس لا مـواش لا بنـاء لا خميـله
أنا للسـيف وللرمح وإخضـاع القبيـله

هذه هى روح الشر التى سيطرت على كثير من الغزاة الطغاة ، فأين قمبيز هذا الطاغية من رائد الجندية ونموذج القيادة الإسكندر المقدونى الذى كان ينشئ المدن ، وينشر العلم ويحترم الديانات ويبشر بالإخاء ويسعى لتزاوج الشرق بالغرب ، ويحترم خصمه المهزوم كما فعل مع زوجة «دارا» فجعلها تعيش فى قصرها معززة ومكرمة ، وكما فعل مع « بيدوس » ملك الهند عندما طلب منه أن يتركه يعيش كملك فأجابه إلى ما أراد .

أما محاولة قهر الشعوب وقنص الرايات فليست مهمة الجيش الأصيل ، ولا نتيجة نهائية لها سوى النـدم والألم والضياع . . والتاريخ ملىء بالنماذج والأمثال . .

راعك ما راع من خيل قمبـيز ترمى سنابكهـا بالشرر
جوارف بالنـار تغزو البلا د وآونة بالقنـا المشتجر
وأبصرت إسكندرا فى الملا قشيب العلا فى الشباب النضر
وشاهدت قيصر كيف استبد وكيف أذل بمصر القصر
وكيف تجـبّر أعـوانه وساقوا الخلائق سوق الحمر

وكيف ابتلوا بقليل العديـــــد من الفاتحين كريم النفر
رمى تاج قيصر رمى الزجا ج وفلّ الجموع وثلّ السرر
فدع كل طاغيـــة للزما ن فإن الزمان يقيم الصعر

* * *

لا رعاك التاريخ يا يوم قمبـــــيز ولا طنطنت بك الأنباء
دارت الدائرات فيك ونالت هـــذه الأمة اليد العسراء
فبمصر ممـــا جنيت لمصر أى داء ما ان إليـــه دواء
نكد خالد وبؤس مقيم وشقاء يجدّ منـــه شقاء
يأمر السيف فى الرقاب وينهى ولمصر على القـــذى إغضاء
جيء بالمالك العزيز ذليلا لم تزلزل فؤاده البأســـاء

* * *

أما الحرب المشروعة ، التى يهلل لها شوقى ، ويذكر المدائح فى ركبها فهى الحرب ضد الطغيان وضد الهمجية :

كم من غزاة للرسول كريمة فيها رضى للحق أو إعلاء
كانت لجند الله فيها شدة فى إثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها فعلى الجهالة والضلال عفاء
دعموا على الحرب السلام وطالما حقنت دماء فى الزمان دماء

دعامة الجنـــدية

خرج شوقى من دراسته لتاريخ العالم وأحداثه الكبرى بعدد من الحقائق والنظرات فى شئون الجندية والحرب ، وقد ساعدته شاعريته الخارقة للعادة وقريحته الكاشفة للأسرار أن يصل إلى نتائج لم يظفر بها غير القادة الأماجد والمحاربين ذوى التجارب الهائلة .

وقد رأينا فيما أوردناه بعض الحقائق التى صادها شوقى . فالحرب حقيقة ملازمة ، ولكنها لا تكون شريعة إلا لدفع الشر أو توقيه ، وإن الأمة بجيشها ، فلا أمن ولا حرية ولا سلام إلا إذا كان للبلاد جيش وطنى قوى .

وهذا الجيش الوطنى القوى يجب أن ينبع من الشعب ، فلا تدخله عناصر غريبة لا فى قيادته ولا فى صفوفه ، وأن تقف الأمة وراء جيشها متحدة متراصة مفتوحة العينين لما يبيته الخصوم . . ومن هنا تستطيع البلاد أن تعيش فى أمن ، وأن تسعى فى مضمار الحياة وتأخذ بأسباب الغنى والرقى .

وقد رسم شوقى لهذا الجيش أبهى صوره ، بل أصدقها وأكملها :

يأيهـــا الجيش الذى لا بالدعىّ ولا الفخـــور
يحمى ، فإن ربع الحمى لفت البرية فى الظهـــور
كالليث يسرف فى الفعا ل وليس يسرف فى الزئـــير

obeikandl.com

الخاطب العليـــاء بالأروا ح غاليـــة المهـــور

هذا الجيش لا يتظاهر ولا يدعى ، ولا تأخذ عليه تغالياً فى المظاهر أو إغراقاً فى الشكليات ، بل هو جيش يعرف مهمته المقدسة ، وهى الدفاع عن الوطن . ويعلم الوسيلة إلى أداء هذه المهمة ، وهى التدريب والاستعداد ومجافاة المتع وملافاة أسباب الفساد ، وخلاصته الطاعة والانقياد وتنفيذ التعليمات التى تتضمن دوام الاستعداد وتلافى أسباب الدعة والميوعة حتى لا تطغى على روح الجد والاجتهاد

أولئك لافى حمـــاة الديار ولا فى العديد ولا فى العدد
طواويس فى عرصات القصور تروق تهاويلها من شـــهد

* * *

والخيل « يا ميجا » هناك ؟

قليـــلة فى جيش « مصر » قليلة الفرسان
أسفاً على الفتيان أين حماسهم قتل النعـــيم حميـــة الفتيان

* * *

إن ورد الســـلم من كثرته ضيعت أظفارها فيه الأسود

* * *

والخطر الداهم هو أن تدخل جرثومة الخيانة فى الجيش أو تكمن فيه عوامل خلاف وشقاق . . إن « شوقى » ينبه ويحذر ويحدث بسوء المصير :

واختلاف الجند فيما بينهم أخذ البأس وإن أبقى الحديد

* * *

بطلاها تقاسما الفلك والجيـــش وشبا الوغى يبحر وبر

وإذا فرق الرعاة اختلاف علموا هارب الذئاب التجـنى

فالجيش يجب أن يكون وحدة قوية متماسكة تحت راية واحدة ، سواء كان ذلك فى السلم أو فى الحرب ، ويجب أن يكون خلواً من العناصر غير الوطنية ، فالدخلاء كانوا دائماً مصدر خطر على الجيش بل عاملا قوياً من عوامل انهياره .

ويقص علينا شوقى أنباء هذه المأساة أكثر من مرة :

أصبح الجيش . .

... تكلم قـل ، أبن كالقطيع اختلفت فيه الجلود

حشر اليونان فى رايتـه وتراغى الزنج واندس العبيد

وغدا كل طريد لم يجـد سبب الرزق أتى الجيش يصيد

فهل مثل هذا الجيش جدير باسمه ، وهل هو درع الوطن حين تدهمه غزوه ! ؟

انظر بعد هذا ، إلى موقف مماثل ، يحدثنا فيه شوقى عن قيصر أنطونيو وكيف ساوره الشك فى قواته وبرح به الظن فى حلفائه فصاح :

ولست أخاف الدارعين وإنما أخاف فجاءات الخيانة والغدر

وليس كمين الحرب ما أنا هائب ولكن كمين الغدر فى ظلمة الصدر

فياقائد الأسطول هل من مكيدة تدبر لى خلف الشراع وما أدرى

نعم أيها القائد الكبير ، لقد تحققت نبوءتك وصح شكك . وأصبح الشك حقيقة . .

وكان جنودك شر الجنو د عليك وخيرهمو للعـدا
فخانت أساطيل أمّلتها وجيش عقدت عليه الرجا
وخلفت فى عسكر كالنعاج كثير الثغاء قليل الغنـا
فمن يائس مات قبل القتال ومن خائن فر قبل اللقا

وإذا لم تكن الروح المعنوية عالية « والضبط والربط » يحكم تصرفات الجيش ، والقيادة تسيطر على الموقف دائما ، فإن الأمل فى الثبات لايلبث أن يتبخر مع تطورات المعركة .

خلت من بنى الجيش الحصون وأقفرت مساكن أهليها وعم التخرب
ونادى مناد للهزيمة فى الملا وإن منادى الترك يدنو ويقرب
فأعرض عن قواده الجند شارداً وعلّمه قواده كيف يهرب

وبهذا تصبح الهزيمة وصفاً متواضعاً لما يحدث ، فكثيراً مادارت على الجيش الدائرة ، ولكن الثبات وروح الانقياد والضبط والربط كثيراً ماقلبت الموقف ، ونزعت النصر من براثن الهزيمة .. أما حين تخبو النفوس وتطير شعاعا ويحل الوهن بجنود غير مدربين وقادة غير مستقتلين فإن الهزيمة تصبح كارثة ولا يعد هناك مجال للانسحاب المنظم أو لمحاولات تعطيل العدو وتقليل الخسائر وإنقاذ جانب من الجيش لمعاودة القتال . . وبهذا تحل الكارثة على البلاد وتتم المأساة فصولا . .

نجو بالنفوس الذاهلات وما نجو بغير يد صفر وأخرى تقلّب
وتمضى السرايا واطئات بخيلها أرامل تبكى أو ثواكل تندب
فمن راجل تهوى السنون برجله ومن فارس تمشى النساء ويركب
تكاد خطاهم تسبق البرق سرعة وتذهب بالأبصار أيان تذهب
هزيمة من لاهازم يستحثه ولا طارد يدعو لذاك ويوجب

* * *

فهل كان هذا جيشاً . . للحرب ! ؟

وأين هذه التمثيلية من أحداث المعارك الكبرى التى أطبقت فيها الهزيمة فلم تقع الخاتمة الكريهة وإنما نظمت عمليات الانسحاب ، ونفذت محاولات تعطيل العدو مثلما حدث فى « دنكرك » عندما حانت الهزيمة بالجيش البريطانى ولكن لم تستطع قوات الألمان أن تقضى على القوة الرئيسية للجيش ، وأيضا عندما انتصر الإنجليز فى معركة العلمين فلم يستسلم « روميل » ، ولم تسمح تعاليم الجيش الألمانى الضاربة فى العراقة والتقاليد أن تصبح الهزيمة كارثة ، بل أخذ روميل يقوم بعمليات المؤخرة ويعرقل تقدم الحلفاء ، وينظم انسحاب قواته ، حتى أفلتت بأعجوبة من القبضة الرهيبة التى أطبقت عليها .

وشوقى حين يقدم هذه العظات البالغة والدروس النافعة ينتهز الفرصة كلما واتته ليوجه الحديث إلى قومه يحض على العناية بالجيش وتدعيم قوته ورفع معنويته ، وهو فى كل مناسبة من مناسبات التاريخ المشرفة يشدو بالمجد ويسجل بالفخار :

ياعسكر النيل السلامه ياعسكر النيل السلامة
ظفرت بالنصر كل حين وفزت بالعزّ والكرامة
فى يوم سلم وفى قتال وفى رحيل وفى إقامة
فما شهدت القتال إلا رفعت للضفتين هامة
أبليتمو قادة وجندا بورك فى الجند والزعامة
قد شيّد الله مجد مصر والجيش من مجدها الدعامة

obeikandl.com

القائد الجيـــد

من القول المأثور لنابليون أشهر عبقرية عسكرية ، أنه لا يوجد جندى ردىء ولكن يوجد قائد ردىء !

وتاريخ الحرب يشهد بصحة هذا القول ، فالجيش بقائده ، ومثلما يكون القائد يكون الجنود .

والمثل يقول : إن ألف ثعلب يقودهم أسد لأسعد حظاً من ألف أسد يقودهم ثعلب . وقد أفصح شوقى عن هذا الخاطر ، فقال :

وما الملك إلا الجيش شأناً ومظهراً ولا الجيش إلا ربّه حين ينسب

وقد أراد مرة أن يختصر وصف المعركة ويسارع فيقرر مصيرها ، فنظر إلى القائدين ، وقارن بينهما ، وأدلى بالنتيجة المحتومة :

وقام فتانا الليل يحمى لواءه وقام فتاهم ليـــله يتلعّب
توسّد هذا قائم السيف يتّقى وهذا على أحلامه يتحسّب
وهل يستوى القرنان ، هذا منعم غرير ، وهذا ذو تجاريب قلّب ! ؟

وما دام هذا هو شأن القائد ومبلغ ما يؤثر به فى جنوده حتى أنهم يتأثرون به قوة أو ضعفاً ، ويذهبون مذهبه نصرا أو هزيمة ، فقد أصبح اختيار

obeikandi.com

القادة عملاً أساسياً فى بناء الجيش ، وصارت ثمة صفات وميزات ينبغى أن تتوفر فى القائد ، ليعهد إليه بهذا الأمر الخطير .

انظر إلى هذا الوصف الذى أجمل فيه شوقى أعظم صفات القائد :

الخيل تأبى غير أحمد حاميا ... وبها إذا ذكر اسمه خيلاء
شيخ الفوارس يعلمون مكانه ... ان هيجت آسادها الهيجاء
وإذا تصدى للظبى فهند ... أو للرماح فصعدة سمراء
وإذا رمى عن قوسه فيمينه ... قدر وما ترمى اليمين قضاء
من كل داعى الحق همة سيفه ... فلسيفه فى الراسيات مضاء
ساقى الجريح ومطعم الأسرى ومن ... أمنت سنابك خيله الأشلاء
إن الشجاعة فى الرجال غلاظة ... ما لم تزنها رأفة وسخاء . .

فالقائد عند شوقى هو الجندى الشجاع الذى يتصدى للعدو ويلاقيه سيفاً بسيف ويرد طعناته ، ويرمى بقوسه فيصيب هدفه لشدة مقدرته ودقة تصويبه وكثرة مرانه . . حتى إذا سقط خصمه لم يجهز عليه ، ولم ينكل به وإنما يحنو على الجريح فيسقيه ويعالجه ويحسن إليه ، ويقبل على أسيره فيفك ضيقته ويطيب خاطره ، ويمر بأرض المعركة فى رأفة وحيطة ، حتى لا يدوس صرعى الخصوم ولا تطأ قدمه أشلاءهم . . تلك هى الجندية الصحيحة وهذا هو القائد الأعلى .

ويرى شوقى أن القائد الأمثل هو من يقود الجيش للذود عن الحمى والدفاع عن الحق ، أما أن يغتر القائد بقوته وتطغى عليه أطماعه وتستبد

به أغراض السيطرة والتحكم ؛ فإن ذلك لمما يخرجه من حساب القادة إلى عداد الطغاة .

همة الفاتحين حكم وقهر ولك الهمة التى هى أبعد
ليس من يفتح البلاد لتشقى مثل من يفتح البلاد لتسعد

وليس القائد بالرجل الجلف المملوء بأساً وعنفاً والذى لا يعرف غير الضرب والطعن ، وليس رجال الجندية قساة ذوى قلوب متحجرة وعواطف جامدة — كما يتصور البعض أخذاً للأمور بظواهرها — والحقيقة أن العسكريين الأصلاء إنما تنطوى صدورهم على قلوب حانية ونفوس نبيلة وإن كانت صناعتهم نهب الأعمار وسفك الدماء .

يمشون تغضى الأرض منهم هيبة وبهم حيال نعيمها إغضاء
حتى إذا فتحت لهم أطرافها لم يطغهم ترف ولا نعماء

* * *

والجاعلين سيوف الهند ألسنهم والكاتبين بأطراف القنا السلب
لا الصعب عندهم بالصعب مركبه ولا المحال بمستعصٍ على الطلب
ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها بقاتلات إذا الأخلاق لم تصب
قواد معركة ورّاد مهلكة أوتاد مملكة آساد محترب
من فلّ جيش ومن أنقاض مملكة ومن بقية قوم جئت بالعجب

* * *

لم يأت جيشك فحشاء ولا هتكت قناك من حرمة الرهبان والصلب
سئلت سلما على نصر فجدت بها ولو سئلت بغير النصر لم تجب
وما السلاح لقوم كل عدتهم حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب

* * *

بلوناك يقظان الصوارم والقنا إذا ضيّع الصيد الملوك سبات
سهرت ولذ النوم وهو منية رعايا تولاها الهوى ورعاة

وهكذا رسم شوقى بريشته البارعة ملاحم الجندى الكبير ، وانثنى فحدثنا عن القادة العظام كيف يكون إقدامهم فى الحرب وشدتهم ساعة الوغى ، ثم ما يمنعهم عن الغلو فى النكاية بالعدو والتطرف فى القتل والتدمير ؛ فأطلعنا بذلك على تقاليد الحرب وآداب القيادة .

ولم يقف شوقى عند حد رسم هذه الشخصيات النموذجية . بل جدّ فى استكمال الصورة ، فجاء بأمثلة لقادة تناسوا الطريق ، وتنكروا لتقاليد الجندية وأوغلوا فى الخطيئة .

انظر كيف حدث من أنطونيو القائد الرومانى الكبير الذى تعلقت به آمال بلاده ، وتجمعت حوله مصائر جنوده ، فبدّدها جميعاً فى نشوة الهوى :

ضيعت قيصر البرية أنثى يا لربى مما تجر النساء !
فتنت منه كهف روما المرجّى والحسام الذى به الانتقاء
قاهر الخصم والجحافل مهما جدّ هول الوغى وجدّ اللقاء

* * *

obeikandl.com

ماذا فعل القائد أنطونيو . . ؟

اشتبك فى المعركة الكبرى التى تقرر مصيره ومصير جيشه ومصير بلاده ، وأبلى فيها البلاء الحسن ، وهى معركة أكتيوم التى دارت بينه وبين خصمه أو منافسه أوكتافيوس ، وقد استطاع فى الساعات الأولى من المعركة أن يهاجمه بشدة وأن يحدق بقواته وصار النصر قاب قوسين . . إلا أن هذا القائد الفـــذ كان مشغول الفكر بحبيبة القلب ، فتعاركت فى نفسه المسئولية والهوى

وأيام يدعونى الهوى فأجيبه ... وينفخ فى البوق المنادى فأنبرى
فتنت الغوانى برهة وفتنّنى ... ولكننى عن سؤدد لم أقصر

لا . . يا أخ

الجندية براء منك ، فهى الشرف وهى الوطنية ، ولتذهب أنت من عداد القادة البارين إلى أسفل سافلين ، إنك توشك أن تبيع شرفك العسكرى وتضحى بجيشك وتطعن وطنك . . من أجل امرأة ! ؟

يا للعار !

لم تأت حتى جاء فى آثارها ... للحب أجنحة بهن يطار
ويقال بل أخذته تحت شراعها ... ونجا به فلك لها مخضار

لقد ترك أنطونيو المعركه وهو على حافة النصر ، ولم يستطع أن يصمد أمام نزوات قلبه وعاد بمراكبه وجنده فى جنح الظلام ، وادعى أنه أحرز نصراً . . وجعل من الهزيمة فوزاً ومن العار مجداً .

obeikandl.com

الحرب تعلم والأيام تشهد لى ... أنى شديد على الأقران جبار
لو كنت شاهدتى والحرب جارفة ... والصف تحتى بعد الصف ينهار
قد جُنَّ تحتى جوادى فهو عاصفة ... وجُنَّ نصلى بكفى فهو إعصار
رأيت حملة صدق غير كاذبة ... لا السيل يحملها يوماً ولا النار
لما صدمت جناحيهم وقلبهمو ... عن الخيام وعن أوكارهم طاروا
ومالت الشمس أو كادت فراجعنى ... شوق إليك قديم الداء سوَّار
حتى رجعت ولو أنى طردتهمو ... لبات أكتاف عندى وانقضى الثار

ولم يبق السر خافياً إلى الأبد ، فقد بدأ القادة والجنود يشغلون بأمره ويتكشفون أسرار قلبه ، وكيف هوى المقاتل الباسل فاستبدل بالسيف كأساً وبالدرع صدراً ليناً . .

هلا نظرت إلى الأميرة إنها ... سكرى تعثَّر فى خليع عذارها
وتأمل المفتون كيف جرى على ... آثارها وانجرَّ فى تيـارها
أوروس أنطونيو حسابكما غدا ... روما الأبية لا تنم عن ثارها

* * *

دعوا أنطونيـو إنى أرى السكر به أزرى
لقد كان الفتى الفطـن فصار الحـدث الغرا

بل أكثر من هذا ، يسأله أحد قادته .

أحق مارك أنطونيو ... س من روميـة تبرا

فيجيب ، ونظره معلق بمحبوبته :

أجـــل اتبع مولاى ولا أعصى لها أمرا

فتكون النتيجة المحتومة : المؤامرة .

سنابث ساعة نختـــال حتى إذا سلّت عقـــولهمو انسللنا
فما المتـــدله السكير أهلا لتنصره السيوف إذا استللنا

ثم يذهب القائد المخمور إلى الحرب بين قادة لا يحملون له احتراما ، فلم يلبث حتى دارت الدائرة عليه فولى هاربا . . ؟ !

وراحت السكرة وجاءت الفكرة . . ولات ساعة مندم !

ولكن شوقى يذيع المأساة ليستمع إليها رجال الجندية حتى آخر الزمان ..

أوروس ماذا دهانى حـــتى نسيت مكانى
أتيت ما هدّ مجـــدى وحطّ رفعـــة شـــانى
جللت نفسى بعـــار يبـــقى بقاء الزمان
لما حمات جـــوادى عـــلى الفرار ازدرانى
وضـــجّ منى سبقى وضـــجّ منى سنانى
وودّت الأرض تحتى لو طهّـــرت من عيانى
أنا الذى كان أمضى من الحـــديد جنانى
الشرق يدرى نزالى والغرب يدرى طعانى
كان الملوك عبيدى فصرت عـــبد الحسان

ثم يلقى بالحكمة ، وهى أصدق ما تكون من أفواه المجربين :

obeikandl.com

ولم أر كالحرب استراح قتيلها ... وأفضى إلى القيد الأسير المقيد

ولكن شقى الحرب والمصطلى بها ... إذا انفضت الحرب الطريد المشرد

وأخيراً يتجه إلى نهايته المحتومة :

أماناً إله الحرب ما أنت صانع ... بهذا الحطام المستباح المبعثر

لقد ذل من بعد امتناع كأنه ... بقية نصل أو رفات غضنفر

صرعت أكاليلي وحطمت صارمي ... وجردتني من أرجوانى المظفر

ولم تألني هدماً وكنت بنيتني ... بناء الصناع القادر المتجبر

ملأت سبيلي بالهوى وصروفه ... ومن يمش فى أرض الهوى يتعثر

أروس، أرى الدنيا بعيني أظلمت ... وكانت قديماً كالصباح المنور

وضاقت بي الأرض الفضاء فكلها ... سبيل طريد ضائع الدم مهدر

غويت وأوفى بي على الخمرة الهوى ... فخفت ومن يركب شفا الجرف يذعر

فشعيرة الخوف اعترتني ولم تكن ... إذا ما اقشعرت تحتى الأرض تعترى

ملئت من الأحداث رعباً فضمني ... إليك وقرب من إزارك مئزرى

أرى الموت ممدود اليدين كمنقذ ... لمثلى من غرقى الحياة مسخر

* * *

وقبيز :

صورة أخرى لرجل وضع نفسه ، أو وضعه بعض المؤرخين ، فى صفوف القادة ، وهو وضع لا تقره تقاليد القيادة ولا تحتمله صفحة القواد العظام . .

obeikandl.com

إنه حاكم طاغية لا يعرف إلا مهاجمة الجار ونهب الأرزاق والأرواح ودفع القوة البربرية لتدمير الحريات وهدر الحقوق وإذلال النفوس .

ولا مبرر غير هذا لما قام به قمبيز من عدوان وسطو

وهو ماجاء به إلى مصر حيث لقى نهايته المهينة . .

بدأ بإرسال الجواسيس يأتون له بالمعلومات ويشترون له بعض الضمائر ، فهو سبّاق فى استخدام الجاسوسية والطابور الخامس قبل الجنرال فرنكو بآلاف السنين .

لا تراعى فما على الجيش بأس ... كل شىء على الحدود تهيا

قد وجدنا الجرار فى مصر والما ... ء ولم نعدم الرجال السقيا

واشترينا الخفير بالمال والحا ... رس الأمين القويا

وقاد قمبيز الإعصار إلى مصر واستولى عليها بعد معركة قصيرة ، وراح يستمع إلى اقتراحات قادته البربر :

سيدى لا تبد رفقاً ... وامض فى الأعناق دقاً

واهدم الأبراج هدما ... واحرق الأجران حرقا

ودع الوادى قاعا ... واحلق الشطئين حلقا

* * *

وأبيس معبودهم أين هو ... هو العجل وهو الذى ألّهو

وليس إلها ولكنما ... على الشعب كهّانه موّهو

* * *

أبى لعمرى فرعون مصر ويشبهه قومه فى أباه
سأدعك فى التراب أنافهم وألصق بالأرض تلك الجباه

* * *

وهكذا أصبحت مهمة القائد فى نفس قمبيز هى الغزو والعدوان ودعك الأنوف فى التراب وتدمير المقدسات ، وقتل الاله ! . .

إله النيل لم تغضب لم تكسر جفنيكا
تأمل شبح الموت ألم يبد لعينيكا
وهذا خنجرى الماضى فخذه بين قرنيكا!

ثم تسرع النهاية إلى هذا الطاغية الحقير الذى حشر خطأ فى قائمة الفاتحين فتصيبه نوبة صرعة تودى به فيقتل نفسه غير مأسوف عليه .

ويحدثنا شوقى عن لفيف من القادة العظام فيعبر عن إعجابه بصفاتهم وتقديرة لأمجادهم .

فهو يقول عن صلاح الدين الأيوبى قائد الجيش العربى الموحد وقاهر الاستعمار الغربى فى « حطين » .

يعرف الدين من صلاح ويدرى من هو المسجدان والأسراء
إنه حصنه الذى كان حصنا وحماه الذى به الاحتماء
يوم سار الصليب والحاملوه ومشى الغرب قومه والنساء
بنفوس تجول فيها الأمانى وقلوب تثور فيها الدماء

يضمرون الدمار للحق والنـــا س ودين الذين بالحق جاءوا
ويهدّون بالتـــلاوة والصـــلـ بان ما شـــاء بالقنا البنـــاء
فتلقتهم عزائم صـــدق نص للدين بينهن خباء
مزقت جمعهم على كل أرض مثلما مزّق الظلام الضياء
وسبت أمرد الملوك فـــردّته وما فيه للرعايا رجاء
ولو ان المليك هيب أذاه لم يخلصه من أذاها الفداء
هكذا المسلمون والعرب الخا لون لا ما يقوله الأعداء
فبهم فى الزمان نلنا الليالى وبهم فى الورى لنا أنباء
ليس للذل حياة فى نفوس يستوى الموت عندها والبقاء

وقد احتفل الشاعر إبما احتفال بزيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثانى لقبر صلاح الدين ، وليس يقدر العظيم حقا غير عظيم مثله :

عظيم الناس من يبكى العظاما ويندبهم ولو كانوا عظاما
رعاك الله من ملك همام تعهد فى الثرى ملكا هماما
أتدرى أى سلطان تحيّى وأى مملك تهدى السلاما
دعوت أجل أهل الأرض حرباً وأشرفهم إذا سكنوا السلاما
فلو كان الدوام نصيب ملك لنال بحد صارمه الدواما

ثم يقف حيال قائد من نوع آخر ، وهو نابليون ، فلا يتردد فى الشهادة له بالعبقرية العسكرية :

رُبَّ يوم لك جلّى وانثنى سائل الغرة ممسوح الجبين
أحرز الغاية نصراً غالياً لفرنسا وحوى الفتح الثمين
قيصرا الانساب فيه نازلا قيصر النفس عصام المالكين
مجلس التاج على مفرقه بيديه لا بأيدى المجلسين
حول « استرلتز » كان الملتقى والتقاء النسر بالمستنسرين
وضع الشطرنج فاستقبلته ببنان عابث باللاعبين
فإذا الملكان هذا خاضع لك فى الجمع وهذا مستكين
صدت شاه الروس والنمسا معا من رأى شاهين صيدا فى كمين

obeikandl.com

مبـــادئ الحرب

يعرف رجال الجندى أن هناك مبادئ للحرب نشأت منذ قديم وطبقها فى الحروب كثير من القادة ، وقد تطورت هذه المبادئ وتعدلت أكثر من مرة حتى صاغها نابليون فى ثمانى مبادئ هى أعمدة النصر المؤزر لمن وفق إلى تطبيقها ، وهذه المبادئ هى :

الحشد : أى تجميع أكبر قوة ممكنة فى اللحظة المناسبة للضربة النهائية فى المعركة .

خفة الحركة : أى سبق العدو إلى الغرض المطلوب .

المفاجأة : أى أخذ العدو على غرّة أو القيام بعمل لا يتوقعه العدو .

الاقتصاد فى القوة : أى تحقيق الغرض بمائة جندى خير من مائة وخمسين وبألف رصاصة بدلا من ألف ومائة .

الوقاية : أى اتخاذ الترتيبات لضمان السلامة وعدم المفاجأة .

التعاون : أى أن تعمل جميع الأسلحة فى خطة واحدة .

القتال التعرضى : أى الأعمال الهجومية ، فإن الهجوم هو السبيل للنصر .

الروح المعنوية : أى الشعور بالثقـــة والاقتناع بالفكرة وتمام الضبط والربط .

obeikandl.com

وقد جاء شوقى بهذه المبادئ جميعاً فى شعره ولم يخف عنه أحدها . وأليك بعضها على سبيل المثال لا الحصر . .

الحشـــد :

ملكت سبيلهم فى الشرق مضرب ... لجيشك ممدود وفى الغرب مضرب
ثمانون ألفا أسد غاب ضراغم ... لها مخلب فيهم وللموت مخلب

خفـــة الحركة .

يمرون مرّ البرق تحت دجنّة ... دخانا بها أشباحهم تتجلبب
حثيثين من فوق الجبال وتحتها ... كما انهار طود أو كما انهال مذنب

* * *

زحفت زحف أتى غير ذى شفق ... على الوهاد ولا رفق على الهضب
قذفتهم بالرماح الهوج مسرجة ... يحملن أسد الشرى فى البيض واليلب
هبَّت عليهم فذابوا عن معاقلهم ... والثلج فى قلل الأجيال لم يذب

* * *

وأى وصف يمكن أن يكون أمتع من هذا الحديث عن حرب البرق أو الحرب الخاطفة .

المفـــاجأة :

لما صدمت جناحيهم وقلبهمو ... طاروا بأجنحة شتى من الرعب

obeikandi.com

لم يدر قائدهم لما أحطت به هبطت من صعد أم جئت من صبب
أخذته وهو فى تدبير خطته فلم تتم وكانت خطة الهرب

الروح المعنوية :

نشوى من الظفر العالى مرنحة من سكرة النصر لا من سكرة النصب
يكادو ن من ذعر تفرّ ديارهم وتنجو الرواسى لو حواهن مشعب
يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى وتقضم بعض الأرض بعضا وتقضب
تكاد خطاهم تسبق البرق سرعة فتذهب بالأبصار أيان تذهب

الاقتصاد فى القوة :

قعدنا فلم يعدم فتى الروم فيلقا من الرعب يغزوه وآخر يسلب
ظفرنا به وجها فظن تعقباً وما ذا يزيد الظافرين التعقب

الوقاية :

كأن عيون الجيش فى كل مذهب من السهل جنّ جوّل فيه جُوّب

القتال التعرضى :

تلوح لهم فى كل أفق وتعتلى وتطلع فيهم من مكان وتغرب
وتقدم أقدام الليوث وتثنى وتدبر علماً بالوغى وتعقّب

obeikandl.com

وتملك أطراف الشعاب وتلتقى وتأخذ عفوا كل عال و قضب
وتغشى بأبيات المعاقل والذرى فثيبهن البكر والبكر ثيب

ولم تفته خطة من أهم خطط الحرب ، وهى العمليات الليلية ، وقد كان يأخذ بنفوسنا فى خلال دراسة الحرب العالمية الثانية كيف كان المارشال ويفل يخفى قواته فى النهار ويمضى فى التحرك أثناء الليل حتى استطاع أن يصل إلى معسكر الإيطاليين فى الصحراء الغربية . . كنا نعجب بهذه الخطط الفذة دون أن نفطن إلى أن شوقى حدثنا عنها قبل ذلك بربع قرن من الزمان .

أفى ليال تجوب الراسيات بها وتقطع الأرض من قطب إلى قطب
سل الظلام بها أى المعاقل لم تظفر وأى حصون الروم لم تثب

* * *

وأنه لمن المناسبة فى هذا المقام أن نذكر فضل السلف الصالح فيما ترك لنا من خبرات وتجارب وخطط ومبادئ حربية لم ننشط إلى دراستها والإفادة منها حتى الآن ، وهذه العمليات الليلية مثلا كانت معروفة للعرب يهجمون فى الظلمة أو يعدون أنفسهم فى الليل حتى يقومون بالهجوم فى الفجر ، وكان النبى صلوات الله عليه يقول « ادرعوا الليل فإنه أخفى للويل » .

ولشوقى — أمير الشعراء — رأى فى العوائق والموانع التى تعترض تقدم الجيوش وهو نفس الرأى الذى عرف عن نابليون .

قال نابليون : حدود الممالك إما أنهار كبيرة أو سلسلة جبال أو صحراء

وأقسى هذه العوائق كلها التى تعوق تقدم أى جيش وأعسرها على التذليل هى الصحراء :

وقال شوقى :

ودون النيـــل . .

ماذا دون مصر ؟ يجوب الجيش صحراء يبابا
يضلُّ الجيش هديته عليها ويظمئها ويوردها السرابا
ترى جلد الجمال عليه يفنى وتحسبها من اللهث الكلابا

oberkandl.com

فى المعـــركة

رأينا كيف جال شوقى فى ميادين الجندية والحرب جولة الذكى الأريب والبحاثة المدقق وخرج منها عالماً ببواطن الأمور واقفاً على الأسرار فلم يترك ناحية من نواحيها لم يوفها حقها من البحث والتقدير ولم تستعص على فهمه مشاكل المعركة وما يجرى فيها من خطط ووقائع وأحداث جسام

ولهذا كان شوقى من الشعراء القلائل الذين يستمع إليهم فى الموضوع ، ومن ميزاته أن كلامه يفهمه الجندى البسيط والقائد الكبير والقارئ العادى الذى لاعلم له بمسائل الحرب . . ويخرج كل منهم بنتيجة ترضيه .

وقد كان يدور بخلد البعض أن شوقى — كشاعر — كان يفى بالمطلوب منه لو اكتفى بقصائد تدعو إلى السلم وتتغنى بعالم لا ضغينة فيه ولامشاجرات ولكن شوقى تدخل فى دائرة الحرب — على اعتبار أنها جزء من الحياة — وعالج شئونها المختلفة ثم قدم لنملأ هذه الدروس الجليلة والحقائق الباهرة ليعلم بها الباحثون عن الحقيقة وليتعلم منها الطلاب والناشئة ، وإذا به فى الوقت نفسه — وقد لا يكون ذلك فى حسبانه — يقدمها أيضا لرجال الجندية فيرون فى كثير منها مصداقاً لما يقرأونه فى كتب كبار المؤرخين ، وفى تعاليم القيادة وفيما يصل إلى أيديهم من تراجم للقادة وفصول عن المعارك الكبرى .

وأهم النقط التى عنى شوقى بإبرازها هى :

١ ــ أن الحرب حقيقة ملازمة لا يدفعها غير الاستعداد لها ؛ أعنى إذا أردت السلم فاستعد للحرب .

٢ ــ أن الأمة بجيشها ، لا يغنيها عن ذلك ما تملكه من أسباب النعيم والرغد فالجيش هو درع الوطن الذى يحميه فى الملمات ويؤمن حياته وحريته وكرامته وازدهار حياته .

٣ ــ أن للجيش وظيفة لا ينبغى تعدى دائرتها ، وهى دائرة الدفاع عن الوطن وأن للجندية آدابا هى الفاصل الكبير بين الجندية والبربرية ، وبين الدفاع عن الحق والطغيان .

٤ ــ أن الجيش بقائده ولهذا ينبغى أن يكون الجيش قوة متماسكة تحت راية رجل عظيم الهمة خبير بالحرب عارف بالأخلاق والعواطف التى تؤثر فى الرجال .

وقد سجلنا فى الفصول السابقة رأى شوقى فى هذه الشئون الهامة التى لا يمكن أن يتصدى فيها برأى إلا جندى كبير يعرف الحرب علماً وعملا . .

وهذا ــ كما قدمنا ــ من دلائل إعجاز شوقى وعلامات عبقريته .

وهو ــ وقد وقف على فكرة الحرب واستعرض مبادئها وطرائقها ــ أصبح يتكلم عن ثقة ويدلى بالرأى فى وضوح ، ولا يكتم إعجابه بالسلاح المرهف والهجمة الباسلة والمفاجأة المذهلة واليوم العصيب .

وهو يعتبر السيف رمزاً للقوة ، ويحتفل به فى كل مناسبة ، ويربأ به

أن يجاوز قدره أو ينحط عن شرف وظيفته .

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب ... وينصر دين الله أيان يضرب
وما السيف إلا آية الملك فى الورى ... ولا الأمر إلا للذى يتغلب
فأدّب به القــوم الطغاة فإنه ... لنعم المربى للطغــاة المؤدب
وداوبه الدولات من كل دائها ... فنعم الحســام الطب والمتطبب
تنام خطوب الملك إن بات ساهراً ... وإن هو نام استيقظت تتألب

* * *

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ... ويذهب عنهم أمرهم حين يذهب
ومن شرف الأوطان ألا يفوتها ... حسام معزّ أو يراع مهــذب

* * *

انظر إليه كيف يستقبل أول طيار مصرى قدم من برلين إلى القاهرة طائراً فى سنة ١٩٣٠ فيهنئه بهذا الإقدام ويحييه على هذه البسالة ، ويدور بعينه ينظر فى وجوه شباب الوطن ويأسف لأن الفرصة لم تواتهم بعد ليكونوا نسوراً ، ويتمنى اليوم الذى ينجح فيه أبناؤنا « فى السماوات » .

يا ســلاح العصر بشرنا به ... كل عصر بكميّ وســلاح
إن عزّا لم يظلل فى غــد ... بجناحيك ذليــل مستباح
فتكاثر وتألف فيلقــا ... تعصم السلم وتعــلو للكفاح
مصر للطــير جميعاً مسرح ... ما لنا فيــه ذنابى أو جناح
لم لا يفــتن فتيان الحمى ... ذلك الإقدام أو ذاك الطماح

* * *

obeikandl.com

بل إن « شوقى » يتنبأ سلفاً بأن سلاح الجو هو سلاح المستقبل ، وأنه سيكون سلاحاً ليس للحرب فحسب ولكن سلاح للسلم أيضاً ، كان ذلك فى سنة ١٩٣٠ فهل يستطيع أحد أن يقول اليوم أحسن مما قاله شوقى :

إنّ عزّا لم يظلل فى غد بجناحيك ذليل مستباح
فتكاثر وتألف فيلقا تعصم السلم وتعلو للكفاح

أو قوله :

سر النجاح وسر كل حضارة هم من المتطوعين كبار
هذا زمان لا الأعنة منزل للبأس فيه ولا الأسنة دار
ما البأس إلا من جناحى خاطف فى البر والبحر اسمه الطيار

* * *

ويقف شوقى أيضاً على سلاح غريب رهيب كانت – وما زالت – له المقدمة بين الأسلحة الحاسمة فى الحرب قديماً وحديثاً ، ومستقبلا .

ودبابة تحت العباب بمكمن أمين ترى السارى وليس يراها
هى الحوت أو فى الحوت منها مشابه فلو كان فولاذا لكان أخاها
أبثّ لأصحاب السفين غوائلا وألأم نابا حين تفغر فاها
خؤون إذا غاصت غدور إذا طفت ملعنة فى سبحها وسراها

* * *

ويقف شوقى معارك الحرب ، البرية أو البحرية ، فلا يصعب عليه

موقف ولا يغيب عنه اصطلاح عسكرى ولا تخفى عن فطانته خطة أو حركة أو عمل يدخل فى عداد الأسرار .

وفى ظنى أن الذين قرأوا أوصاف المعارك فى شعر شوقى قد أخذ بإعجابهم قافيته وأوزانها وصياغتها وألفاظها دون أن يبحثوا فى حقائق الموضوع ، أعنى أنهم قالوا أنه شعر جيد دون أن يحاولوا دراسة هذه الحركة ومدى توفيق شوقى فى نقلها إلى هذا النظم الرائع .

فهو — على قدر إحاطتى بالشعر العربى — لم يجاره فى هذا المضمار — مع فارق العصر — سوى المتنبى وأبو تمام — بل لا أعلم بين الأدباء قاطبة من تصدى لشئون الحرب بقلم عربى مبين سوى الأستاذ عباس محمود العقاد فى العبقريات والأستاذ خليل ثابت فى افتتاحيات المقطم فى غضون الحرب العالمية الثانية . . وكتابات كل منهما لا يمكن أن تصدر عن غير معقب حربى راسخ القدم أو أستاذ فى التاريخ الحربى واسع الأفق .

اسمعوا وصف شوقى للمعركة البحرية « اكتيوما » على لسان كليوباترا :

أيهـا الساده اسمعوا خبر الحـــــرب وأمر القتال فيها وأمرى
واقتحامى العباب والبحر يطغى والجوارى به على الدم تجرى
بين أنطونيو وأكتاف يوم عبقرى يسير فى كل عصر
أخذت فيه كل ذات شوارع أهبة الحرب واستعدت لشر
لا ترى فى المجال غير سبوح مقبـــل مدبر مكرّ مفر
وترى الفلك فى مطاردة الفـــــلك كنسر أراد شرا بنسر

وتخال الدخان فى جنبات الجو جنحا من ظلمة الليل يسرى
ودوىّ الرياح فى كل لج هزج الرعد أو صياح الهزبر
وترى الماء منه عود سرير لفريق منـــه وإحناء قبر
يغسل الجرح شر من غسل الجر ح ويأسو من الحياة ويبرى

* * *

وفى وصف الحرب البرية يقول – على لسان القائد أنطونيوس :

الحرب تعـــلم والأيام تشهد لى أنى شديد على الأقران جبـــار
لو كنت شاهدتى والحرب جارية والصف تحـــتى بعد الصف ينهار
قد جن تحتى جوادى فهو عاصفة وجن نصـــلى بكفى فهو إعصار
رأيت حملة صـــدق غير كاذبة لا السيل يحملها يوما ولا النـــار
لمـــا صـــدمت جناحيهم وقلبهمو عن الخيام وعن أوكارهم طاروا
وما وجـــدت لاكتافيو وقادته ريحاً ولم أتبين أية ســـاروا . .

ويصف القتال على سهل فرسالا (الحرب العثمانية اليونانية) :

حمينا كلانا أرض فرسال والسما فـــكل سبيل بين ذلك معطب
ورحنا يهب الشر فينا وفيهـــمو وتشمل أرواح القتـــال وتجنب
كأنّا أسود رابضات كأنهـــم قطيع بأقصى السهل حيران مذئب
كأن خيام الجيش فى السهل أينق نواشر فوضى فى دجى الليل شزب
كأن السرايا ساكنات موائجاً قطائع تعطى الأمن طوراً وتسلب
كأن القنا دون الخـــيام نوازلا جداول يجريها الظلام ويسكب

كأن الدجى بحر إلى النجم صاعد ... كأن السرايا موجة المتضرب
كأن المنايا فى ضمير ظلامه ... هموم بها فاض الضمير المحجب
كأن صهيل الخيل ناع مبشر ... تراهن فيها ضاحكاً وهى تحّب
كأن وجوه الخيل غراً وسيمة ... درارى ليل طلع فيه ثقب
كأن أنوف الخيل حراً من الوغى ... مجامر فى الظلماء تهدا وتلهب
كأن صدور الخيل غذر على الدجى ... كأن بقايا النضح فيهم طحالب
كأن سنى الأبواق فى الليل برقة ... كأن صداها الرعد للبرق يصحب
كأن نداء الجيش من كل جانب ... دوى رياح فى الدجى تتذأب
كأن عيون الجيش فى كل مذهب ... من السهل جن جول فيه جوب
كأن الوغى نار ، كأن جنودنا ... مجوس إذا ما يمموا المنار قرّبوا
كأن الوغى نار كأن بنى الرعى ... فراش له فى ملمس النار مأرب
وثبنا يضيق السهل عن وثباتنا ... وتقدمنا نار إلى الروم أوثب
مشت فى سراياهم فحلّت نظامها ... فلما مشينا أدبرت لا تعقب

يحيا الســـلم

وبعد ، فإن الشاعر الرقيق ـ شكلا وموضوعاً ـ الذى رأيناه كالأسد الهصور يدعو للقوة حتى تحمى البلاد حدودها وتؤمن حريتها وسعيها فى الحياة وتصون مستقبلها .. نراه لا ينفك ينشد السلم ويتمنى للعالم حياة حرة كريمة لا يشوب صفاؤها عدوان ولا عراك ، وهو يوجه الحديث أولا إلى أصحاب الشأن ليستعدوا ثم يوجه التحذير والنذير بعد ذلك إلى الباغين دعاة الحرب والتوسع والسيطرة . .

يا أيها الباغون ركـــاب الجهـالة والعماية
الباعثون الحرب حبـــا للتوسـع والزيادة
المدعون على الورى حق القيامة والوصـاية
المثـكلون الموتمـــون الهادمون بلا نهاية
كل الجراح لها التئـــام من عزاء أو نسابة
إلا جـراح الحق فى عصر الحصافة والدراية
ستظل داميـة إلى يوم الخصومة والشكاية

* * *

يا ليت لم تمـدد بشرٌ يدا وليت ظل السلم باق ظليل
حنى علينا عصبة جازفوا فحسبنا الله ونعم الوكـيل

* * *

قالها شوقى عندما ألقى غليوم خطبة نارية أثارت خواطر الناس وآذنتهم بالحرب عام ١٩٠٦ . . وما زلنا بعد خمسين سنة نردد هذا القول ونعيده .

حكم وأمثال حربية

فى شعر شوقى

ما السفن فى عدد الحصى بنوافع حتى يهز لواءها مقدام
يا معشر الإســـلام فى أسطولكم عزّ لكم ووقاية وســـلام

* * *

ومن شرف الأوطان ألا يعوزها حسام معزٌّ أو يراع مهذب

* * *

ولكن على الجيش تقوى البلاد وبالعـــلم تشـــتد أركانها

* * *

ليس للذل حيلة فى نفوس يستوى الموت عندها والبقاء

* * *

الحرب فى حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء
والحرب من شرف الشعوب فان بغوا فالمجد ممـــا يدعون براء
والحرب يبعثها القوى تجبراً وينوء تحت ظلالها الضعفاء

* * *

obeikandl.com

دعموا على الحرب السلام وطالما حقنت دماء فى الزمان دماء

* * *

وما السيف إلا آية الملك فى الورى ولا الأمر إلا للذى يتغلب
تنام خطوب الملك إن بات ساهراً وإن هو نام استيقظت تتألب
وما الملك إلا الجيش شأناً ومظهراً ولا الجيش إلا ربه حين ينسب

* * *

وما شهداء الحرب إلا عمادها وإن شياء الأحياء فيها وأطنبوا
مداد سجل النصر فيها دماؤهم وبالتبر من غالى ثراهم يترب

* * *

فولّى وما ولى نظام جنوده ويا شؤم جيش للفرار يرتب

* * *

وهل يستوى القرنان : هذا منعم غرير . وهذا ذو تجارب قلب

* * *

ومن كان منسوبا إلى دولة القنا فليس إلى شىء سوى العز ينسب

* * *

وما السلاح لقوم كل عدتهم حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب

* * *

لا الصعب عندهم بالصعب مركبه ولا المحال بمستعصى على الطلب
ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها بقاتلات إذا الأخلاق لم تصب

obeikandi.com

قواد معركة ورّاد مهلكة أوتاد مملكة آساد محـــترب

* * *

وما نيـــل المطالب بالتمـــنى ولكن توخـــذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منـــال إذا الإقدام كان لهم ركابا

* * *

أفى الوغى ورحى الهيجاء دائرة تحصون منمات أو تحصون ماسلبا
خلوا الأكاليل للتاريخ إن له يدا توٴلفهـــا درا ومخشلبا

* * *

ليس من يفتح البـــلاد لتشقى مثل من يفتح البـــلاد لتسعد

* * *

دعوتهم لجهاد فيـــه سوٴددهم والحرب أس نظام الكون والزمم

* * *

إذا كان الرماة رماة ســـوء أحلوا غـــير مرماها السهاما

* * *

الملك والدولات ما يبنى القنا والعلم ، لا ما ترفع الأحلام
والحق ليس وإن علا بموٴيد حتى يحوط جانبيـــه حسام

* * *

ترك الفريقان القتال وهـــذه ســـلم أمرّ من القتال عقام

* * *

دخول الظافرين يكون صبحاً ولا تزجى مواكبهم مساء

* * *

وإذا فرّق الرعاة اختلاف علموا هارب الذئاب التجنى

* * *

ولست أخاف الدارعين وإنما أخاف فجاءات الخيانة والغدر
وليس كمين الحرب ما أنا هائب ولكن كمين الغدر فى ظلمة الصدر
ولم أر كالحرب استراح قتيلها وأفضى إلى القيد الأسير المقيد
ولكن شقى الحرب والمصطلى بها إذا انفضت الحرب الطريد المشرد

* * *

فمن يائس مات قبل القتا ل ومن خائن فرّ قبل اللقا

* * *

وما منزل الأبطال إلا رحى الوغى إذا هى دارت أو رواق المعسكر

* * *

احتفوا فى الحياة والموت بالغا لب فانظر هل عظموا مغلوبا ؟

* * *

خلا الوكر من صرخات العقا ب ونامت عن الغاب عين الأسد
أولئك لا فى حماة الديار ولا فى العديد ولا فى العدد
طواويس فى عرصات القصور تروق تهاويلها من شهد

obeikandi.com

ولا يعجبنك سـلم يرف وخـير يفيض ومال لبد

* * *

وأغبى الناس منشمر لحرب توقع أن يصيب ولا يصابا

* * *

إن ورد السـلم من كثرته نسيت أظفارها فيه الأسـود
واختلاف الجند فيما بينهم أخـذ البأس وإن أبقى الحديد

* * *

أسفاً على الفتيان أين حماسهم قتـل النعيم حمـية الفتيان

* * *

أيرى العجم من بنى الظل والمـا ء عجيباً أن تنجب البيـداء
وتثـير الخيام أساد هيجا ء تراها أسـادها الهيجاء

obeikandl.com

(٢)

المتنبى

obeikandl.com

obeikandl.com

٣٠٣ - ٣٥٤ م

فالخيل والليـــل والبيداء تعرفنى والحرب والضرب والقرطاس والقلم

« . . ثم جاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس »

ابن رشيق القيروانى

obeikandl.com

أبو الطيب المتنبى

ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين فى سنة ٣٠٣ هـ بمحلة كنده بالكوفة ، ورحل فى صباه مع والده إلى الشام حيث جال فى أقطاره وتنقل بين مجتمعاته واشتغل فى فنون الأدب فمهر فيها ، وكان من المكثرين فى نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحواشيها فلا يسأل عن شىء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من نظم ونثر .

وقد عرف بالمتنبى ، وطغى اسم الشهرة هذا حتى حجب اسمه الحقيقى ويروى أنه تنبأ وهو فى فورة الشباب وضحوة العمر ، وفتن شرذمة بروعة أدبه وحسن كلامه فقبض عليه أمير حمص وحبسه حتى تفرقت شيعته وأعلنت توبته .

وحكى أبو الفتح بن جنى قال : سمعت أبا الطيب يقول إنما لُقِّبت بالمتنبى لقولى :

أنا ترب الندى ورب القوافى وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود
ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

obeikandi.com

وقد رثاه أبو القاسم الطبسى فأشار إلى ذلك الحدث المشهور فى سيرة المتنبى بقوله :

ما رأى الناس ثانى المتنبى أى ثان يرى لبكر الزمان
هو فى شعره نبىّ ولكن ظهرت معجزاته فى المعانى

ووصفه الإمام الثعالبى الناسبورى بأنه نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر : سار ذكره مسير الشمس والقمر وسافر كلامه فى البدو والحضر تماماً كما قال المتنبى :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمراً وغنّى به من لا يغنى مرددا

وفى سنة ٣٣٧ هـ وصل المتنبى على مركبة شهرته إلى بلاط سيف الدولة ابن حمدان أمير حلب وكان كبير النفس واسع الفكر ، موفقاً فى الحرب ، محباً للشعر والأدب ، فقرّب إليه المتنبى منه وأجزل له فى العطاء ، فراح يتفنن فى مديحه ويتغنى بأمجاده ، ويخرج معه فى حروب الثغور فيصف الحرب وأسلحتها ومشاهدها ، وكانت له نظرات جدّ صادقة فى شئون الجندية والحرب .

كان هذا العهد ، والمتنبى فى ركاب سيف الدولة ، أزهى العهود ، ففيه أخرج أعظم قصائده ، وبلغ قمة شهرته وعاش فى سعة ورفهنية ، فطاب مقامه وعزّ شأنه ، وقد عبر هو عن ذلك بأنه كان أسير سيف الدولة .

تركت السرى خلفى لمن قل ماله وأنعلت أفراسى بنعماك عسجدا
وقيدت نفسى فى هواك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

وفى هذه الفترة التى تألق فيها نجم المتنبى وازدهر شعره ظهر له حساد ونقاد حاولوا الوقيعة بين الرجلين بعد أن فشلت محاولاتهم فى التهوين من شأن المتنبى أو التفوق عليه . . وأخيراً وقعت بينهما الجفوة ، بعد ست سنوات حافلة ، وكان المتنبى يحس هذه النهاية وينبّه إليها سيف الدولة . .

أجزنى إذا أنشدت شعراً فإننى أنا الطائر المحكى والآخر الصدى

* * *

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك ولا تعطين الناس ما أنا قائل

* * *

ولكن سيف الدولة أعطى المتنبى لغيره ! فقد تركه بعد أن نجحت الوشايات بينهما وقل العطاء فى عينى المتنبى ولم يعد يجد من ممدوحه ما كان يطمح إليه من مزيد الرعاية والتكريم .

وشاء حظ الشعر أن تتغير بيئة الشاعر وأن تتنوع فنونه وأن يضاف فصل جديد حافل إلى سيرته وقصيده ، فأوقعه الزمان فى ركاب كافور الأخشيد والى مصر . . وكان المتنبى يأمل فى ضيعة أو ولاية !

وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عندها وخطاب

* * *

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله فإنى أغنى منذ حين وتشرب

إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلب

. . ولكن كافوراً أجفل من هذا الطموح ، وقد رأى تعاليه فى شعره

وسموه بنفسه ، فخافه ، وعوتب فى ذلك فقال :

ياقوم ، من ادعى النبوة بعد محمد (ص) أما يدعى المملكة مع كافور .

هرب المتنبى من مصر وهجا كافورا هجاء مقذعاً مشهوراً ، ونزح إلى بغداد سنة ٣٥٠ هـ وهناك انبرى له كثرة من الحساد والمنافسين يأتمرون به ويسدون عليه الطرق ، فتركها إلى الكوفة ثم ارجان حيث التقى بالوزير الأديب « ابن العميد » فأقام فى ضيافته فترة .

وأخيراً وقع حادث عارض ختم به الغدر حياة المتنبى بطريقة مناسبة ، فقد وقع خلاف بينه وبين من كان يدعى فاتك « الأسدى » بسبب هجاء المتنبى لأخت فاتك ، فخرج عليه فى جماعة والمتنبى على سفر ، ووقع بين الطرفين قتال أبدى فيه المتنبى بسالة ، فلما تكاثرت عليه السيوف ووجد ثمة فرصة للفرار انتهزها ونجا .. ولكن غلامه صدّه عن هذه النهاية المهينة قائلا :

لا يتحدث عنك الناس بالفرار أبداً وأنت القائل:

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فقفل المتنبى راجعاً ، واشتبك مع خصومه حتى لقى حتفه شهيداً . . وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ٣٥٤ على مقربة من بغداد .

ويعتبر المتنبى أحد أئمة الشعر العربى ورافعى لوائه ، وقد اصطف أمامه ، فى حياته وبعد مماته ، حشد من النقاد والحساد والمنافسين فلم يجدوا غير الهين والقليل من المآخذ والكبوات .

وقد ذكر القيروانى فى كتابه المشهور « أعلام الكلام » عن المتنبى :

« قد شغل الألسن وسهرت فى أشعاره الأعين ، وكثر الناسخ لشعره والغائص فى بحره ، والمفتش عن جمانه ودره ، وله شيعة تغلو فى مدحه ، وعليه خوارج تتغالى فى جرحه .

« وألفت الكتب فى تفسير شعره ، وحل مشكله وعويصة ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه ، وتكلم الأفاضل فى الوساطه بينه وبين خصومه والإفصاح عن أبكار كلامه وعيونه ، وتفرقوا فرقاً فى مدحه ، والقدح فيه ، والنضح عنه ، والتعصب له أو عليه .

« وليست اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبى الطيب من مجالس الأنس ، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء فى المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . . »

ومن طريف ما روى عن ذيوع شعر المتنبى أن ابن العميد تلقى فى وفاة شقيقته ستين كتاب تعزية ونيف ، ما منها إلا وقد صدر بقول المتنبى :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر ... فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا ... شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

وقال صاحب « الصبح المنبى » :

« ولم يسمع بديوان شعر فى الجاهلية ولا فى الإسلام شرح مثل الشروح الكثيرة لديوان المتنبى ولا تداول فى ألسنة الأدباء فى نظم ونثر أكثر من شعر المتنبى » .

وجاء فى وفيات الأعيان :

« ولقد اطلع بعض قدامى الباحثين على أكثر من أربعين شرحاً له بين

مطولات ومختصرات وكان أبو العلاء المعرى لا يذكر اسم المتنبى إلا مقرونا بلقب الشاعر تميزاً له عن غيره وإكباراً لشأنه .

• • •

حقاً يا أبا الطيب ، ما قلته عن سيف الدولة وشاعره :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيتـــه إن الكرام بأسخاهم يد ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

• • •

هذا طرف من سيرة المتنبى وسريرته وذيوع أمره وعلو منزلته ، فهو أعظم شعراء العربية فى رأى الكثيرين ، وأحد فطاحل الشعر العربى فى جميع الأزمان . . وإنك لتراه فى كل ناحية مبرزاً وفى كل مجال متفوقا ، وقد سبق أقرانه ، وسبق زمانه فى خوضه لمعمعان الحرب جندياً شاعرا صادق النظرة باسل الفكرة حتى أنه لم يدع تقليداً محموداً دون أن ينبه إليه ولا مبدأ أصيلا غاب عن قصيده ، فإذا راجعت نظرات المتنبى فى الجندية والحرب أدركت طرفاً من عبقرية هذا الشاعر الخالد الذى تنبأ فعلا ، وصح تنبؤه فى قوله :

إن هذا الشعر فى الشعر ملك سار فهو الشمس والدنيا فلك

المتنبي .. والجندية والحرب

صحبت المتنبي عدة سنوات أستجلى جوامع كلمه وأستعيد روائع نظمه وأردد طرائفه وحكمه ، وأجول معه فى جميع نواحى القريض فيملك على مشاعرى ويستحوذ على تقديرى وإعجابى ، ثم أتنقل مع المؤرخين له بين حساد ونقاد ومادحين ومؤيدين . . وقد هالنى أن تكتب عنه ، فى خلال ألف سنة ونيف ، عشرات الكتب ومئات الفصول والمقالات دون أن يظفر فن الحرب بحديث خاص ، وهو الجندى الشاعر الذى قال فى الحرب ثمانى عشرة قصيدة تحتوى على سبعمائة وسبعين بيتاً من جيد الشعر ونادره . .

وقصائد المتنبي فى الجندية والحرب تعتبر قمة لا يبلغ معانيها ولا يقف على أعاليها إلا قائد محنك نافذ النظرة واسع الحيلة ، فقد اشتملت على جماع مبادئ الحرب التى تدرسها المعاهد والأكاديميات العسكرية فى عالمنا الحاضر وتضمنت آراء عسكرية صائبة واشتملت على جملة الآداب والتقاليد التى تحكم الجندية وتجعلها مهنة الشرف والواجب والتضحية .

* * *

obeikandi.com

الاستعداد للحرب

يرى المتنبي أن طبيعة الحياة تقتضي الاستعداد ، فمعركة البقاء للأصلح معركة مستمرة تتشكل في صور شتى ، منها الحرب ، فالويل للمغلوب والفرحة للمنتصر حكمة قديمة جديدة ملازمة . .

إنمـــا أنفس الأنيس سباع يتفـــارسن جهرة واغتيـــالا
من أطاق التماس شيء غلابا واغتصابا لم يلتمسه ســـؤالا

حقيقة أبدية ، لم تمتد إليها يد التغيير على الرغم من التبدل العظيم في جميع خطوات الحضارة والمدنية ، فالناس يقتتلون فعلا ، أفراداً أو جماعات ، في السلم أو في الحرب ، سراً أو جهراً ، ولهذا فلا بد من الاستعداد ، ولا ضير بعد ذلك من التفاهم . . وإنك لتطلب الشيء ، وليكن حقك فيه واضحاً لا يختلف فيه اثنان ، ولكنك لا تبلغه — في عرف المتنبي — ما لم تكن قوياً ، وإن الدولة لتنال الحرية — حبراً على الورق — ما لم تكن هي مستحقة الحرية فعلا بما تكون عليه من قوة ورقي ورخاء . .

إن حجر الأساس في بنيان الدولة هو قوتها ، وعمادها هو جيشها .

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عنـــد محبيهن كالقبل

• • •

obeikandi.com

من اقتضى بسوى الهندى حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

* * *

إن السلام هو أمل كل فرد وجماعة وأمة ، ولا أحد يحب الحرب ولكن لا سبيل إلى السلام إلا سبيل القوة . لا تستطيع أن تتضمن سلامة وطنك ولا تطمئن إلى وعود أو اتفاقات إلا إذا كانت السهام مشدودة على أقواسها ، فليس ينجى الوطن من الأعداء المتربصين به إلا قوة الاستعداد .

وما تركوك معصـــية ولكن يعاف الورد والموت السراب

وإنك تحب السلم ولكنك لا تستطيع على حساب بلادك وحريتها أن تخشى الحرب ، فحبك للسلم هو حب للسلام لا للاستلام .

لست ممن يغره حبك الســـــلم وأن لا ترى شهود القتال

وإذن ، ففى هذا العالم المضطرب الذى تدور شئونه حول محور القوة والمنعة اجعل السلم غايتك وليكن أساس السلم جيشاً منيعاً ، فإذا بدرت من العدو بادرة قمت إليه موفور الثقة كامل العدة . . لا تطمئن لغير قوتك .

أجر الجياد على ما كنت مجريها وخذ بنفسك فى أخلاقك الأول

* * *

كيف لا تأمن العراق ومصر وسراياك دونهـــا والخيول

* * *

إن أقصى أمنية تبلغها البلاد ، بل غاية الغايات هو أن تعيش فى حرية وأمن تحت ظلال جيش وطنى قوى ، تسالم من يسالمها وتعادى من يعاديها .

* * *

الحق أبلج والسيوف عوارى فحذار من أســـد العرين حذار

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أغذ إليه غير محتفل
وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم أرضاً بلا رجل

* * *

عفا عنهم وأعتقهم صغاراً وفى أعناق أكثرهم سخاب

* * *

تبيت وفودهم تسرى إليه وجدواه الذى سالوا اغتفار
فخلفهم برد البيض عنهم وهامهم له معهم معار

ولا يقف المتنبي عند حد وصف القائد العظيم وترديد صفاته وميزاته بل يذكر لك أيضاً القائد الذى وضعته الأقدار عفواً — أو خطأ فى مركز القيادة ، فتراه لا يحس بحقيقة رسالته ولا يعد نفسه جيداً لأداء مهمته ، بل يقنع من القيادة بمظاهرها ونعمائها وتكون النتيجة وبالا على جيشه وبلاده .

ما الذى عنده تدار المنايا كالذى عنده تدار الشمول

* * *

وجيش أمام على ناقة كثير الإمامة فى الباطل

أما القائد غير المطبوع فإنه لا يقوى على المعركة . وسرعان ما تحدثه نفسه بالسلامة فيضعف أمام الأحداث ويجر على جيشه الكارثة :

سراياك تترى والدمستق هارب وأصحابه قتلى وأمواله نهبى
أتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلا وأدبر إذ أقبلت يستبعد القربا

كذا يترك الأعداء من يترك القنا ... ويقفل من كانت هزيمته رعبا
وهل ردّ عنه باللقان وقوله ... صدور العوالى والمطهمة الشهبا
ولكنه ولّى وللطعن سورة ... إذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى ... وشعث النصارى والقرابين والصلبا
أرى كلنا يبغى الحياة بسعيه ... حريصاً عليها مستهاما بها حبا
فحب الجبان النفس أورده التقى ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا

فهل هذا بقائد . . الذى تهتز نفسه وتطير شعاعاً عندما تحتدم المعركة ، هذا الذى يقدم على الحرب ويمضى إليها على غير استعداد وثقة فإذا ما جدّ جدها اكتفى من الغنيمة بالإياب وفرّ لا يلوى على شىء تاركا رجاله ونساءه ومعتقداته ، وكأنما — وهو القائد — يقول : أنا ، وبعدى الطوفان ! ؟

انظر الفرق بين هذا الدمستق الذى إذا تذكر الحرب لمس جنبه حشية أن تكون أصابته ضربة أو طعنة . . من سيف الدولة ؛ الذى خاض المعركة فى قلبها واندفع وراء خصومه حتى صار بمنأى عن جيشه .

ورائعها وحيد لم يرعه ... تباعد جيشه والمستجاش

وقد كان نابليون — عند ما يطلب ترشيح قائد لأحد المواقع — يسأل : هل هو قائد موفق . وهو يقصد : هل هو قائد شجاع . وهذه الصفة تعتبر فى مقدمة ما يؤهل القائد لوظيفته :

وما الفوق ما بين الأنام وبينه ... إذا حذر المحذور واستصعب الصعبا

لأمر أعـــدته الخلافة للعدى وسمته دون العالم الصارم الغضبا

* * *

إمام الـــكتيبة تزهى به مكان السنان من العامل

* * *

فبت ليالياً لا نوم فيها تخبّ بك المسومة العراب
يهزّ الجيش حولك جانبيه كما انفضت جناحيها العقاب

وقد بلغ المتنبي الغاية ، ورفع إليها سيف الدولة . لما قال فيه ما لم يقل قائل في القائد العظيم :

ماضي الجنان يريه الحزم قبل غد بقلبه ما ترى عيناه بعد غـــد

* * *

ولو لم أخف غير أعدائه عليـــه لبشرته بالخـــلود

* * *

ولو جاز الخلود خلدت فردا ولكن ليس للدنيا خليل

* * *

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكن طبع النفس للنفس قائد
نهبت من الأرواح ما لو حويته لهنئت الدنيـــا بأنك خالد

* * *

إذا ما المعلمون رأوك قالوا بهـــذا يعلم الجيش اللهام

obeikandl.com

الروح المعنوية

عرفنا ، أو على الأصح ، حدثنا المتنبى فيما تقدم بأهمية الجيش للبلاد وضرورة القائد الجيد للجيش ، ثم حدثنا عن أسلحة النصر ، وقدّم لنا سلاحا لا يسيل الدم ولا يقتنص الأرواح ، سلاحاً يطلقون عليه اليوم : الروح المعنوية . وقد سبق المتنبي أصحاب النظريات بألف سنة حين قرر أهمية القوى المعنوية التى قال نابليون بأنها ثلاثة أمثال القوة المادية .

انظر إلى الحقيقة العجيبة التى جادت بها قريحة المتنبى وهو يحدث عن الهزيمة قبل التقاء الأسلحة ، والتسليم قبل المعركة :

بعثوا الرعب فى قلوب الأعادى ... فكأن القتال قبل التلاقى
وتكاد الظبا لما عودوها ... تنتضى نفسها إلى الأعناق

* * *

أبصروا الطعن فى القلوب دراكاً ... قبل أن يبصروا الرماح خيالا
وإذا حاولت طعانك خيل ... أبصرت أذرع القنا أميالا
بسط الرعب فى اليمين يمينا ... فتولوا وفى الشمال شمالا
ينفض الروع أيديا ليس تدرى ... أسيوفاً حملن أم أغلالا

* * *

obeikandl.com

فليس السلاح هو بيت القصيد ، ولكن روح الرجال الذين يحملون السلاح . . يجب أن نعد للحرب رجالا وطنيين صادقين يعلمون حق بلادهم عليهم ويفهمون معنى الدفاع عن الوطن وحماية مقدساته ، فهم يندفعون إلى الحرب عن رغبة لا رهبة ، ويخوضون القتال لتحقيق غرض أسمى ينتصرون من أجله أو يموتون فى سبيله . . هذه « الحاجة » التى فى النفس هى أقوى سلاح وهى التى تدفع الجندى بحق وتثير فيه النعرة والحماسة لبلوغ المراد .

وإذا افتقر القائد لهذه « الحاجة » ولم تكن أساساً لتحركات الجنود فلا أمل فى النصر إلا مصادفة ، ولا خير فى الفوز مهما حقق من نتائج .

وظلّ الطعن فى الخيلين خلسا ... كأن الموت بينهما اختصار
فلزّهم الطراد إلى قتـــال ... أحد سلاحهم فيه الفرار
مضوا متسابقى الأعضاء فيه ... لأرؤسهم بأرجلهـــم عثار
يرون الموت قدّاماً وخلفاً ... فيختارون ، والموت اضطرار

* * *

فولّوا بين ذى روح مفات ... وذى رمق وذى عقل مطاش
ومن قبل النطاح وقبل يأتى ... تبين لك النعاج من الكباش

* * *

إذا ما سرت فى آثار قوم ... تخاذلت الجماجم والرقاب
ومن فى كفه منهم قناة ... كمن فى كفه منهم خضاب

* * *

وبغير القوة المعنوية تصبح القوة المادية قليلة الأثر ، محدودة الفعل وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » .

لقد تحرك الروم بجيش كبير العدد وقصدوا قلعة لاحتلالها وإذلال أهلها فلما قام إليهم سيف الدولة ولاحت لهم الحرب الضروس ارتدوا على أعقابهم وأسلموا للفرار .

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

* * *

أناهم بأوسع من أرضهم طوال السبيب قصار العسب
تغيب الشواهق في جيشه وتبدو صغارا إذا لم تغب
فغرق مدنهم بالجيوش وأخفت أصواتهم باللجب
فأخبث به طالباً قهرهم وأخبث به تاركا ما طلب
نأيت فقاتلهم باللقا وجئت فقاتلهم بالهرب
وكانوا له الفخر لما أتى وكنت له العذر لما ذهب
سبقت إليهم منا ياهم ومنفعة الغوث قبل العطب

* * *

يرون من الذعر صوت الرياح صهيل الجياد وخفق البنود

* * *

ألقت إليك دماء الروم طاعتها فلو دعوت بلا ضرب أجاب دم

يسابق القتل فيهم كل حادثة فما يصيبهم موت ولا هرم !؟

* * *

وريع له جيش العدو وما مشى وجاشت له الحرب الضروس وما نغلى

* * *

لو لم تكن تجرى على أسيافه مهجاتهم جرت على إقباله

* * *

لما رأته وخيل النصر مقبلة والحرب غير عوان أسلموا الحللا
وضاقت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

* * *

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا تصنع البهم
أكلما رمت جيشاً فانثنى هربا تصرفت بك فى آثاره الهمم
عليك هزمهمو فى كل معترك وما عليك بهم عار إذا انهزموا

القتال الليلى

من مظاهر الحرب الحديثة أنها لم تعد تتقيد بضوء النهار ، بل أصبح أكثر العمليات الحربية يبيت بليل ، أو قل يشتد أوارها فى حلكة الليل ، وقد كان يستأثر بإعجابنا ـ أثناء تتبعنا لسير الحرب العالمية الثانية ـ بعض الخطط والعمليات التى تمت فى الليل ، فإذا ما أصبح الصبح كان النصر ثابت الراية

ولكن لو رجعنا إلى تراثنا العربى لوجدنا أمجاداً عديدة فى خطط الحرب ووسائلها ، ومن ذلك العمليات الليلية ، وقد كان الرسول الكريم يقول :

« ادرعوا الليل فإنه أخفى للويل »

أى أن الليل هو بمثابة درع لكى يخفى تحركاتهم عن العدو فيكيلون له الضربة القاصمة من حيث لا يحتسب .

والمتنبى يحدثنا عن العمليات الحربية فى وقائع سيف الدولة . كان يشد ركابه فى الليل وينهال على خصمه وهو غير متوقع فيطلع عليهم الصبح وقد انتهت المعركة بالهزيمة والتشريد والخسران .

رميتهم ببحر من حديد له فى البر خلفهم عباب
فآتاهم وبسطهم حرير وصبّحهم وبسطهم تراب

* * *

obeikandl.com

إذا الليل دارانا أرتنا خفافها بقدح الحصى ما لاترينا المشاعل
ألا ليست الحاجات إلا نفوسكم وليس لنا إلا السيوف وسائل

أى أن سيف الدولة كان يدفع قواته إلى المعركة ليلا ، فيستعيض عن المشاعل – إمعاناً فى الإخفاء – بقدح الحصى الذى يحدث من ارتطامها بحوافر الخيل ، وهو تشبيه رائع على ما فيه من مبالغة .

أما اليوم فيخططون للقتال الليلى بالاستطلاع ورسم محلات التجمع وخطوط التقدم ويستعينون بالقمر الصناعى .

ورميك الليل بالجنود وقد رميت أجفانهم بتسهيد

أى أنهم يظلون فى قلق وحيرة من اتجاه خططك ومسرح عملياتك فيسهرون الليل فى قلق وسهد . . وأنت كقائد محنك تنتظر حتى تجىء سحابة تحجب أضواء النجوم فيصبح الليل كالحاً شديد الظلمة فتعطى إشارة الهجوم وتثير الغبار إمعاناً فى حجب الأضواء .

كأن نجوم الليل خافت مغارة فدّت عليها من عجاجته حجبا

* * *

يغير ألوان الليالى على العدوى بمنشورة الرايات منصورة الجند
إذا ارتقبوا صبحاً رأوا قبل ضوئه كتائب لا يردى الصباح كما تردى
ومبثوثة لا تتقى بطليعة ولا يحتمى منها بغور ولا نجد

* * *

obeikandl.com

الحرب الخاطفة

عندما شنت ألمانيا حربها الهجومية على الميدان الغربي في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ واندفعت طياراتها ودباباتها تلك الاندفاعة الرهيبة فاخترقت الحصون وقوضت الاستحكامات وأدالت الدول . . وصف بعض المراقبين الحربيين هذا الحرب بأنها حرب البرق « بليتز كريج » أي الحرب الخاطفة لشدة قضاء الأسلحة وسرعة عربات القتال .

والحرب هي هي ، على الرغم من اختلاف أسلحتها ، لاتختلف مبادئها الأصيلة إلا لماما ، ولو عدنا إلى تاريخنا الحربي لوجدنا الحرب الخاطفة تحدث بأروع صور القتال وأكثرها سرعة وأشدها فتكا .

كان أعداء سيف الدولة يتربصون به الدوائر ويبيتون له بليل ، ولكنه لم يكن غافلا ، وكان دائماً مستعداً ، فإذا ما لاحت بادرة أسرع إلى إخمادها بقوة حاسمة واستعدادات متوفرة .

فرس سابق ورمح طويل ودلاص زحف وسيف صقيل
كلما صبّحت ديار عدو قال تلك الغيوث هذى السيول
دهمته تطاير الزرد المحكم عنه كما يطير النسيل

وهو يدفع أمام قواته مقدمة بمثابة رأس الحرب ، كالمقدمة التي نعرفها

اليوم فى الجيوش الحديثة وتكون لها الأسلحة التى تعينها على مهمتها وتحقق أهدافها إلى أن تصل القوة الرئيسية . . وكثيراً ماكانت هذه المقدمة كافية لصدم الأعادى وإخبارهم بما ينتظارهم من هلاك فيتفرقون أيدى سبا وتطير نفوسهم شعاعاً .

تقنص الخيل خيلة قنص الو حش ويستأثر الخميس الرعيل

* * *

حذاراً لمعرورى الجياد فجاءة إلى الطعن قبلا ما لهن لجام

* * *

تهب فى ظهرها كتائبه هبوب أرواحها المراويد

ومن هذا نرى أن سيف الدولة كان على أهبة الاستعداد دائماً لدرء العدوان ، فإذا قام للحرب أخذ بأسلوب الحرب الخاطفة اختصاراً للإجراءات وتوفيراً للجهود وحقناً للدماء وحسما للمعركة حتى أنه – على حد قول المتنبي – لا تحتاج خيله إلى سروج ولجام لأنها جيدة التدريب ، ولأن الموقف يحتاج إلى سرعة قبل أن يتقدم العدو ويعظم الخطر .

قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم وأدنى سيرها سرع

لا يعتنى بلد مسراه عن بلد كالموت ليس له رى ولا شبع

وإذا حدث عدوان قام سيف الدولة على الفور ، وبكامل الاستعداد ، فصدم الشر وأنهى المعركة بسرعة وقوة وحزم .

كلما أعجلوا النذير يسيرا أعجلته جياده الاعجالا

فأتتهم خوارق الأرض ما تحمـــــل إلا الحديد والأبطالا

* * *

فما شعروا حتى رأوها مغيرة قباحاً وأما خلقهـا فجميل
سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل

* * *

فلبيتـه بك فى جحفل له ضـامن وبه كامل
خرجن من النقع فى عارض ومن عرق الركض فى وابل
وجيش إمام على ناقة صحيح الإمامة فى البـاطل
فأقبلن ينخرن قدامـه نوافر كالنحل والعاسـل
فلما بدوت لأصحـابه رأت أسـدها آكل الآكل

* * *

طلعن عليهم طلعة يعرفونها لها غرر ما تنقضى وحجول

* * *

رمى حلباً بنواصى الخيـول وسمر يُرقن دماً فى الصعيد
وبيض مسـافرة ما يُقمـــن لا فى الرقاب ولا فى الغمور
يقدن الفناء غـداة اللقاء إلى كل جيش كثير العديد
فولّى بأشياعه الخرشـنى كشاء أحس بزأر الأسـود

* * *

وماذا تكون الحرب الخاطفة، وكيف يكون وصفها أحق وأدق من قول المتنبي :

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا وما علموا أن السهام خيـول

oberkandl.com

التدريب للحرب

تتدرب الجيوش فى السلم لكى تخوض الحرب بكفاءة وتحصل على النصر بجدارة ، وبقدر ما يكون النجاح فى التدريب يكون النجاح فى العمليات ولهذا أخذت الجيوش بمبدأ التدريب القائل بأن العرق يوفر الدم .

ولكن نظرية التدريب تختلف من جيش إلى آخر ومن قائد إلى قائد ، واشتغل الفكر العسكرى بهذا الموضوع فجاء بالجديد والمثير من أنواع التدريب ووسائله ومساعداته وتطورت هذه المحاولات حتى وصلت بالتدريب إلى المناورة، وهى قيام عملية بين قسمين من الجيش لها جميع مظاهر العمليات الحربية ، فتكون ثمة مباراة يخرج الطرفان منها بدروس وملاحظات لها قيمتها .

وآخر ما وصل إليه فن التدريب هو استخدام الأسلحة والذخيرة الحية فى المناورات ، وبذلك يتدرب الجنود تدريباً محلياً واقعياً فى ظروف تشبه ظروف الحرب من أكثر الوجوه .

وقد سبق المتنبى فألمح أكثر من مرة إلى أهمية التدريب الجيد ، بل إنه وصل بتطورات التدريب إلى أن المعركة هى أحسن أنواع التدريب ، وقال أن كفاءة جيوش سيف الدولة ترجع إلى كثرة تجاربها وخبراتها ، فالجنود

obeikandl.com

يتدربون والخيل تتدرب والأسلحة هى الأخرى بدورها أصبحت تتجه إلى رقاب العدو من كثرة ما اعتادت ! ؟

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد إلا إلى العادات والأوطان
إن خليت ربطت بآداب الوغى ولدعاؤها يغنى عن الأرسان
فى جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان
يرمى بها البلد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان

* * *

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول
ومن أمر الحصون فما عصته أطاعته الحزونة والسهول

انظر إلى نتيجة التدريب الجيد : تصبح الحرب عادة فلا رهبة ولا توق ولا تقاعس وإنما اندفاع إلى الحومة ونزال وانتصار .

وإذا كان خير اختبار للجندى هو نتيجته فى ضرب النار ، فإن هذه الحقيقة لم تخف عن المتنبى فهو يقول :

وهل يخطى بأسهمه الرمايا وما يخطى بما ظن الغيوبا
إذا نكست كنانته استبنا بأنصلها لأنصلها ندوبا
يصيب ببعضها أفواق بعض فلولا الكسر لاتصلت قضيبا

* * *

إن الجيش لم يقعد عن التدريب والمناورة والحرب ، فلم يطل به عهد للسلم والدعة والرفه وبذلك يبقى دائماً مستعداً مستزيداً كامل الأهبة كثير المرانة ، آخذاً بخير مبادئ الحرب وهى الهجوم :

واشق بلاد الله ما لروم أهلها وجفن الذى خلف الفرنجة ساهد
شننت بها الغارات حتى تركتها وإن لم يكونوا ساجدين مساجد
تنكسهم والسابقات جبالهم وتطعن فيهم والرماح مكايد
وتضحى الحصون المشمخرات فى الذرى وخيلك فى أعناقهم قلائد

* * *

وأدبها طول القتال فطرفه يشير إليها من بعيد فتفهم
لها فى الوغى زى الفوارس فوقها فكل حصان دارع متلثم
وما ذاك بخلا بالنفوس على القنا ولكن صدم الشر بالشر أحزم

* * *

ومثل هذا الجيش المستعد يحسب الأعادى حسابه ويقدرون خطره ، فلا سبيل لنجاتهم منه ومفاداتهم له سوى أن يكون بين الفريقين هدنة أو سلام يسعون إليه ويأملون فيه بعد طول الحرب والخسران .

دروع لملك الروم هذى الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل
هى الزرد الضافى عليه ولفظها عليك ثناء سابغ وفضائل
وأنى أهتدى هذا الرسول بأرضه وما سكنت مذ سرت فيها القساطل
ومن أى ماء كان يسقى جواده ولم تصف من مزج الدماء المناهل

مبـــادئ الحرب

إن مبادئ الحرب التى وضعها نابليون ، وما زالت إلى اليوم نبراساً يهتدى به رجال الجندية ، قد جرت قبله على لسان المتنبى ، وطبقها فى حروبه سيف الدولة بن حمدان قبل ألف سنة ونيف .

هذه المبادئ هى :

- الحشد
- خفة الحركة
- الاقتصاد فى القوة
- الوقاية
- المفاجأة
- التعاون
- القتال التعرضى (الهجوم)
- الروح المعنوية

وقد أوضح المتنبى هدف القتال ، الهدف الذى تتجه إليه القوات ، والمحافظة عليه ، وعدم التحول عنه . وقد كان الغرض — كما رآه المتنبى — القضاء على القوة الرئيسية للعدو :

obeikandl.com

ألا ليست الغايات إلا نفوسكم وليست لنا إلا السيوف وسائل

وكان الغرض فى ذات مرة قلعة « الحدث » ، فقد بناها سيف الدولة ، فأقلقت الروم وقصدوا إلى تدميرها ، فسبقهم إليها وشتت جمعهم وأطار صوابهم .

كلما أعجلوا النذير مسيرا أعجلتـه جياده الاعجالا
فأتتهم خوارق الأرض ما تحمـل إلا الحديد والأبطالا
قصدوا هـدم سورها فبنوه وأتوا كى يقصروه فطالا

أما الحشد فهو تجميع أكبر قوات ممكنة فى المكان والساعة الحاسمة للفصل فى المعركة بقوة وسرعة .

همام إذا ما همّ أفضى همومه بأرعن وطء الموت فيه ثقيل
وخيل براها الركض فى كل بلدة إذا عرست فيهـا فليس تقيل
فلما تجلى من دلوك وصنجة علت كل طود راية ورعيل
فما شعروا حتى رأوها مغـيرة قباحاً وأما خلقها فجميل
سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل

والمقصود من مبدأ خفة الحركة هو سرعة الانتقال إلى أرض المعركة الحاسمة قبل وصول العدو إليها أو تحقيق الغرض قبل أن يحول العدو دونه

قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم وأدنى سيرها سرع

* * *

سبقت إليهم منـــاياهم ومنفعة الغوث قبـــل العطب

* * *

فرس سابق ورمح طويل ودلاص زحف وسيف صقيل
كلما صبّحت ديار عـــدو قال تلك الغيوث هذى السيول

* * *

والاقتصاد فى القوة مبدأ يقصد به بذل المجهود المناسب لكسب الموقعة ، فالقائد المحنك يقدر الموقف تقديراً صحيحاً ويبعث إلى الغرض المطلوب بالقوة الكفيلة بالدفاع عنه أو الحصول عليـــه ، وبذلك لا يبعثر قواته بغير حساب .

وقد كان سيف الدولة يبعث بمقدمه أمام جيشه ، وقد تنجح هذه المقدمة فى مهمتها وتعفى الجيش كله من أعباء المعركة .

تقنص الخيل خيله قنص الوحـــــــش ويستأثر الخميس الرعيل

* * *

والمفاجأة هى عمل الشىء الذى لا يتوقعه العدو ، ولو خلت الحرب من المفاجأة لأصبح المجد الحربى فى استطاعة القادة العاديين ، وتأتى الضربة الحاسمة غالبا من هجوم على موقع لا يتوقعه العـــدو ، ووقت ليس فى حسبانه :

فما شعروا حتى رأوها مغيرة قباحاً وأما خلقهـــا فجميل

* * *

حذاراً لمعروري الجياد فجاءة إلى الطعن قبلا ما لهن لجام

* * *

وعادت فظنوها بموزار قفّلا وليس لها إلا الدخول قفول
فخاضت نجيع الجمع خوضاً كأنه بكل نجيع لم تخضه كفيل
وكرّت فرت فى دماء ملطية ملطيـــة أم للبنين ثكول

* * *

والقتال التعرضى أو العمليات الهجومية هى مبدأ النصر ، مهما كان الجيش محميا فى مواقعه قادراً على الدفاع فإنه لا يحصل على الغرض ، وإنما الحصول على الغرض يقتضى الأخذ بروح الهجوم .

أنت طول الحياة للروم غاز فتى الوعد أن يكون القفول

* * *

أكلما رمت جيشاً فانثنى هربا تصرفت به فى آثاره الهمم

* * *

فلما بدوت لأصحـــابه رأت أسدها آكل الأكل
بضرب يعمهمو جائر له فيهم قسمة العـــادل

* * *

وأخيراً ، الروح المعنوية ، أحدث مبادئ الحرب وأقدمها فقد أخبر المتنبى فى الحديث عنها والاحتفال بها ، وجعلها من دعامات النصر ، وقد أفردنا لها فصلا خاصا فى هذه الدراسة .

وصف المعركة

يعتبر شعر المتنبي – بصفة عامة – فائقاً فى الجودة ، عامراً بالخيال والجمال وقد اعتبر المؤرخين له والذين شرحوا دواوينه أن قصائده فى الحروب تعتبر من أجود قصائده ، ولعلهم قصدوا إلى أنها بارعة الأداء بادية الجودة رائعة الصياغة ، ولكن الذى لم يتنبه إليه أحد هو ما اجتمع لهذه القصائد من حقائق حربية ونظريات ومبادئ وخطط لا تخطر بغير بال القائد الكبير ، فالمتنبي فهم الحرب وعاش فى غمارها وتفاعل مع أحداثها فلما قصد إلى تسجيلها قال قول العارف المجرب ، وعبَّر عن مشاعر المحارب ووصف وصف شاهد العيان .

وفى مقدمة قصائده فى وصف الحروب ، اللامية المشهورة التى سجل بها زحف سيف الدولة فى أرض الروم ، وقتاله إياهم فى حران ولوك وصنجه وموزار وملطية وغيرها من الحصون والقلاع التى استسلمت له ، وهى قصيدة من ٦٦ بيتاً مطلعها :

ليالى بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل

وفيها يقول :

رمى الدرب بالجود الجياد إلى العدا وما علموا أن السهام خيول

openkanar.com

شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحتـــه وصهيل
وما هى إلا خطرة عرضت له بحرّان لبتها قنا ونصـــول
همام إذا ما هم أمضى همـــومه بأرعن وطء الموت فيه ثقيل
وخيل براها الركض فى كل بلدة إذا عرّست فيهـــا فليس ثقيل
فلما تجلى من دلوك وصنجة علت كل طود راية ورعيل
على طرق فيها على الطرق رفعة وفى ذكرها عند الأنيس خمول
فما شعروا حتى رأوْها مغـــيرة قباحاً وأما خَلقها فجميل
سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل
وأمسى السبايا ينتحبن بحرقة كأن جيوب الثاكلات ذيول
وعادت فظنوها بموزار قفّلا وليس لها إلا الدخول قفول
فخاضت نجيع الجمع خوضاً كأنه بكل نجيع لم تخضـــه كفيل
تسايرها النيران فى كل مسلك به القوم صرعى والديار طلول
وكرّت فمرّت فى دماء ملطية أم للبنـــين ثكول
وأضعفن ما كلفنه من قباقب فأضحى كأن الماء فيه عليل
ورُعن بنا قلب الفرات كأنما تخرُّ عليه بالرجال سيول
يطارد فيـــه موجه كل سابح ســـواء عليه غمرة ومسيل
تراه كأن المـــاء مرّ بجسمه وأقبل رأس وحـــده وتليل
وفى بطن هنزيط وسمنين للظبا وصم القنا ممن أبدن بديل

طلعن عليهم طلعـــة يعرفونها لهـــا غرر ما تنقضى وحجول

• • •

تمل الحصون الشم طوال نزالنا فتلقى إليـــنا أهلها وتزول
وبتن بحصن الران رزحي من الوجى وكل عزيز للأمير ذليـــل
وفى كل نفس ما خلاه ملالة وفى كل سيف ما خلاه فلول
ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهـــولة ومجول
لبسن الدجى فيها إلى أرض مرعش وللروم خطب فى البلاد جليل
فلما رأوْه وحـــده قبل جيشه دروْا أن كل العالمين فضول
وأن رماح الخط عنـــه قصيرة وأن حديد الهنـــد عنه كليل
فأوردهم صدر الحصان وسيفه فتى بأســـه مثل العطاء جزيل
جواد على العـــلات بالمال كله ولكنه بالدارعـــين بخيل
فودّع قتـــلاهم وشيع فلهم بضرب حمُزون البيض فيه سهول
على قلب قسطنطين منه تعجّب وإن كان فى ساقيـــه من كبول
لعـــلك يوماً يا دمستق عائد فكم هارب مما إليـــه يؤول
نجوت بإحدى مهجتيك جريحة وخلفت إحدى مهجتيك تسيل
أتســـلم للخطية ابنك هاربا ويسكن فى الدنيا إليك خليل
بوجهك ما أنساكه من مُرشّة نصـــيرك منها رنّة وعويل
أغركم طول الجيوش وعرضها علىّ شروب للجيوش أكول
إذا لم تكن للبيث إلا فريسة غـــذاه ولم ينفعك أنك فيل

إذا الطعن لم تدخلك فيه شجاعة هى الطعن لم يدخلك فيه عذول
فإن تكن الأيام أبصرن صولة فقد علم الأيام كيف تصول

• • •

وسجل المتنبي فى قصيدة ميمية رائعة ذات ٤٦ بيت – زحف سيف الدولة نحو ثغر « الحدث » وكان أهلها قد سلموه بالأمان إلى « الدمستق » ملك الروم ، فنزلها سيف الدولة فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٣ ، ونازله الدمستق فى ٥٠ ألف فارس من جموع الروم والأرمن والبلغر والصقلب ، وانتهت المعركة بانتصار سيف الدولة وتأمين الحدث :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم
يكلّف سيف الدولة الجيش هَمَّهُ وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم
يُفدّى أتم الطير عمرا سلاحه نسور الملا أحداثها والقشاعم
وما ضرّها خلق بغير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أى الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغرّ قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا تقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فرددتها على الدين بالخطى والدهر راغم

obeikandi.com

تفيت الليالى كل شيء أخذته ... وهن لما يأخذن منك غوارم
إذا كان ما تنويه فعلا مضارعاً ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
وكيف ترجى الروم والروس هدمها ... وذا الطعن آساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنايا حواكم ... فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

* * *

أتوك يجرون الحديد كأنهم ... سروا بجيـاد ما لهن قوائم
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ... ثيابهم من مثلهـا والعمائم
خميس يشرق الأرض والغرب زحفه ... وفى إذن الجوزاء منـه زمازم
تجمّع فيـه كل لسن وأمة ... فما تفهم الحداث إلا التراجم
فلله وقت ذوب الغش ناره ... فلم يبق إلا صارم أو ضبارم
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا ... وفر من الفرسان من لايصارم

* * *

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضّاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى ... إلى قول قوم أنت بالغيب عالم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... تموت الخوافى تحتها والقوادم
بضرب أتى الهامات والنصر غائب ... وصار إلى اللبات والنصر قادم
حقرت الرديني حتى طرحتها ... وحتى كأن السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فإنما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

obeikandl.com

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة ... كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على اللرى ... وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ النسر أنك زرتها ... بأمّاتها وهى الصّاق الصلادم
إذا زلقت مشيّتها ببطونهـا ... كما تتمشى فى الصعيد الأراقم
أفى كل يوم من ذا الدمستق مقدم ... قفاه على الأقدام للوجه لائم
أينكر ريح الليث حـتى يذوقه ... وقد عرفت ريح الليوث البهائم
وقد نجعته بابنه وابن صهره ... وبالصهر حملات الأمير الغواشم
مضى يشكر الأصحاب فى فوته الظبا ... بمـا شغلتها هامهم والمعاصم
ويفهم صوت المشرفية فيهم ... على أن أصوات السيوف أعاجم
يُسرّ بمـا أعطاك لا عن جهالة ... ولكن مغنوماً نجا منك غانم
ولست مليكا هازما لنظيره ... ولكنك التوحيد للشرك هازم
تَشَرّفَ عدنانٌ به لا ربيعة ... وتفتخر الدنيا به لا العواصم

* * *

لك الحمد فى الدور الذى له لفظه ... فإنك معطـيه وإنى ناظم
وإنى لتعدو بى عطاياك فى الوغى ... فلا أنا مذموم ولا أنت نادم
على كل طيار إليهـا برجله ... وقعت فى مسمعيـه الغماغم
ألا أيها السيف الذى ليس مغمدا ... ولا فيك مرتاب ولا منك عاصم
هنيئاً لضرب إلهام والمجد والعلا ... وراجيك والإسـلام أنك سالم
ولِم لا يقى الرحمن حدّيك ما وقى ... وتفليقه هام العـدا بك دائم

* * *

ووصف المتنبي معركة أخرى بين الروم والمسلمين ، بدأت بهجوم « الدمستق » على حصن « الحدث » وأخذهم في عمل استحكامات ومكايد ، وقد جمع الدمستق في هذه العملية جيشاً عرمرما ضمّ خليطا من الجنود البلغر والروس والصقلب ، فلما أقبل سيف الدولة على الحدث حتى قفل الروم مرتدين عنها إلى حصن « رعبان » .

ذى المعالى فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلالا
شرف ينطح النجوم بروقيـــــه وعزّ يقلقل الأجبالا
حال أعدائنا عظيم وسيف الدولـــــة ابن السيوف أعظم حالا
كلما أعجلوا النذير مسيراً أعجلته جياده الإعجالا
فأتتهم خوارق الأرض ماتحـ ـمل إلا الحديد والأبطالا
خافيات الألوان قد نسج النقـ ـع عليها براقعاً وجلالا
حالفته صدورها والعوالى ليخوضن دونه الأهوالا
ولتمضنّ حيث لا يجد الرمـ ـح مداراً ولا الحصان مجالا
لا ألوم بن لاون ملك الرو م وإن كان ما تمنى محالا
أقلقته بنيـــة بين أذنيـ ـه وبان بغى السماء فنالا
كلما رام حطها اتسع البـ ـغى فغطى جبينه والقذالا
يجمع الروم والصقالب والبلغـ ـر فيها وتجمع الآجالا
وتوافيهمو بها فى القنا السمـ ـر كما وافت العطاش الصلالا
قصدوا هدم سورها فبنوه وأتوا كى يقصروه فطالا
واستجروا مكايد الحرب حتى تركوها لهـا عليهم وبالا

* * *

ربّ أمر أتاك لا تحمد الفُعّـــــال فيــه وتحمد الأفعالا
وقسيّ رميت عنها فردت فى قلوب الرماة عنك النصالا
أخذوا الطرق يقطعون بها الرســـــل فكان إقطاعها إرسالا
وهم البحر ذو الغوارب إلا أنه صار عنـــد بحرك آلا
ما مضوا لم يقاتلوك ولكن القتـــــال الذى كفاك القتالا
والذى قطّع الرقاب من الضر ب بكفيك قطع الآمالا
والثبات الذى أجادوا قديما علم الثابتـين ذا الأجفالا
نزلوا فى مصارع عرفوها يندبون الأعمام والأخوالا
تحمل الريح بينهم شعر الهـ ام وتذرى عليهم الأوصالا
تنـــذر الجسم أن يقيم لديها وتريه لكل عضـــو مثالا

* * *

أبصروا الطعن فى القلوب دراكا قبل أن يبصروا الرماح خيالا
وإذا حاولت طعانك خيل أبصرت أذرع القنا أميالا
بسط الرعب فى القلوب يمينا فتولوا وفى الشمال شمالا
ينفض الروع أيديا ليس تدرى أسيوفا حملن أم أغلالا
ووجوها أخافها منك وجه تركت حسنها له والجمالا
والعيان الجلى يحدث للظـــــن زوالا وللمراد انتقالا
وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا
أقسموا لا رأوك إلا بقلب طالما غرّت العيونُ الرجالا
أى عين تأملتك فلاقتـــــك وطرف رنا إليك فآلا

ما يشك اللعين فى أخذك الجيش فهل يبعث الجيوش نوالا
ما لمن ينصب الحبائل فى الأر ض ومرجاه أن يصيد الهلالا
إن دون التى على الدرب والأحـ ـد ب والنهر مُغلطا مزيالا
غضب الدهر والملوك عليها فبناها فى وجنة الدهر خالا
فهى تمشى مشى العروس اختيالا وتثنّى على الزمان دلالا
وحماها بكل مطرد الأكعـ ـب جور الزمان والأوجالا
فى خميس من الأسود بئيس يفترسن النفوس والأموالا
وظبا تعرف الحرام من الحل فقد أفنت الدماء حلالا

* * *

إنما أنفس الأنيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا
من أطاق التماس شىء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى أن يكون الفضنفر الرئبالا

وهكذا قصائد المتنبى فى الحرب ، تراه مجليا لا غالب له فى هذا المعترك وهو بحق كما جاء وصفه فى « الصبح المنبى » :

« . . فإذا وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا . فطريقه فى ذلك يضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ، فيصف لسانه ما أراه عيانه . . »

حكم وأمثال من شعر المتنبي
في الجندية والحرب

من أطاق التماس شيء غلابا واقتساراً لم يلتمسه سؤالا

* * *

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محيهن كالقبل

* * *

من اقتضى بسوى الهندى حاجته أجاب كل سؤال عن هلٍ بِلَمِ

* * *

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام

* * *

إذ كنت في شك من السيف فابله فإما تنفيه وإما تعده

وما الصارم الهندى إلا كغيره إذا لم يفارقه النجاد وغمده

* * *

وما ذاك بُخْلا بالنفوس على القنا ولكن صدم الشر بالشر أحزم

* * *

obeikandl.com

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى مُضرٍ كوضع السيف فى موضع الندى

* * *

ذرينى أنل ما لا ينال من العـــلا
فصَعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين لقيان المعالى رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

* * *

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

* * *

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيـــا بأنك خالد

* * *

فى جحفل ستر العيون غباره فكأنمـــا يبصرن بالآذان

* * *

دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها ففرّق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

* * *

obeikandl.com

فمـوتى فى الوغى أربى لأنى رأيت العيش فى أرب النفوس

* * *

إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبع

* * *

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيّده الضرغام فيما تصيدا

* * *

أعزّ مكان فى الدنى سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب

* * *

لكل امرئ من دهره ما تعـودا

وعادة سيف الدولة الضرب فى العدا

* * *

فقد يظن شجاعاً من به خرق وقد يظن جباناً من به زمع

* * *

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول

ومن أمر الحصون فما عصته أطاعتـه الحزونة والسهول

* * *

لا أكسب الذكر إلا من مضاربه أو من سنان أصم الكعب معتدل

* * *

obeikandl.com

أبصروا للطعن فى القلوب دراكا قبل أن يبصروا الرماح خيالا

* * *

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

* * *

ما الذى عنـــده تدار المنايا كالذى عنده تدار الشمول

* * *

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

* * *

سحاب من العقبان يسبح تحتها سحاب إذا استسقت سقتها صوارم

* * *

ولا كُتبٌ إلا المشرفيه عنده ولا رسل إلا الخميس العرمرم

* * *

فلله وقت ذوب الغش ناره فلم يبق إلا صارم أو ضبارم
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا وفر من الأبطال من لا يصادم

* * *

ردى حياض الردى يا نفس واتركى
حياض خوف الردى للشاء والنعم

obeikandl.com

إن لم أذرك على الأرماح سائلة فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

• • •

وإنما النـــاس بالملوك وما يفلح عرب ملوكها عجم

• • •

لا افتخار إلا لمن لا يضام مـــدرك أو محارب لا ينام

• • •

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

obeikandl.com

المراجـــع

١ – مراجع عن شوقى

كتب لشوقى :

ديوان شوقى « الشوقيات » فى ٤ أجزاء :

مسرحيات شعرية :

على بك الكبير أو دولة المماليك – عنترة – قمبيز – مجنون ليلى – مصرع كليوباترا – ورقة الآس – أميرة الأندلس – دول العرب وعظماء الإسلام – شيطان بنتاءور

كتب عن شوقى :

أبى شوقى	بقلم	الأستاذ حسين شوقى
شوقى الشاعر	«	الدكتور محمد مندور
حافظ وشوقى	«	« طه حسين
حافظ وشوقى	«	الأستاذ حسين كامل الصيرفى
شاعرا العروبة شوقى وحافظ	«	« عبد السميع المعرى

obeikandl.com

(تابع) مراجع عن «شوقى»

شوقى	بقلم	الأستاذ أنطون الجميل
حياة شوقى	«	« أحمد محفوظ
المتنبى وشوقى دراسة ونقد وموازنة	«	« عباس حسين
شوقى أو صداقة أربعين عاماً	«	« شكيب أرسلان
شوقى شاعر العصر الحديث	«	« شوقى ضيف
العربية وشاعرها الأكبر	«	« إسعاف النشاشيبى
وطنية شوقى	«	« أحمد محمد الحوفى
الشعراء الثلاثة شوقى ومطران وحافظ	«	« حسن السندوبى
المسرحية فى شعر شوقى	«	« محمود حامد شوكت
حكمة فى أحمد شوقى	«	« عمر فروخ
ذكرى الشاعرين	«	« أحمد عبيد
ذكرى شوقى	«	« على العنانى
قمبيز فى الميزان	«	« عباس العقاد
الديوان	«	« الأستاذين العقاد والمازنى

obeikandl.com

المراجع

٢ – مراجع عن المتنبى

التبيان فى شرح الديوان	للعكبرى
الصبح المنبى ، عن حيثية المتنبى	للشيخ يوسف البديعى
يتيمة الدهر	للإمام النيسابورى
العمدة	لابن رشيق القيروانى
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	لابن خلكان
أعلام الكلام	لأبى عبيد الله القيروانى
تاريخ الكامل	لابن الأثير
مع المتنبى	للدكتور طه حسين
أبو الطيب المتنبى	« عبد الوهاب عزام
المتنبى وشوقى	للأستاذ عباس حسن

obeikandl.com

الفهرست

صفحة

تقديم – للأستاذ ثروت عكاشة ٣
أحمد شوقى ٧
شوقى . . والجندية والحرب ١٢
الأمة بجيشها ١٦
الحرب . . والسلام ١٩
دعامة الجندية ٢٣
القائد الجيد ٢٩
مبادئ الحرب فى المعركة ٤١
حكم وأمثال حربية من شعر شوقى ٤٦
أبو الطيب المتنبى ٦٢
المتنبى . . والجندية والحرب ٦٨
القائد الجيد ٧١
الروح المعنوية ٧٨
القتال الليلى ٨٢
التدريب للحرب ٨٧
مبادئ الحرب ٩٠
وصف المعركة ٩٤
حكم وأمثال حربية من شعر المتنبى ١٠٣

obeikandl.com

من كتب المؤلف

القيادة والقادة العظام

أسلوب واضح البلاغة أنيق الصياغة مع قوة فى العرض وبراعة فى الأداء .

جمال عبد الناصر

مع العسكريين

ولست أشك فى أن القراء سيحصلون منه فائدة ويستشعرون أثرا حميدا

كمال الدين حسين

قادة الحرب العرب

صورة حية من البطولة العربية ، ومثلا عالية للفدائية الإسلامية

أنور السادات

جيشنا فى فلسطين

آية من آيات العزة القومية والتمجيد للجندية .

اللواء محمد شريف

حرب الصحراء المصرية

ملمّ بمقدمات هذه الحرب وأطوارها ، وقلما اتصلت بالحرب مسألة إلا كان له إلمام بطرف من أطرافها .

الأستاذ عباس محمود العقاد

القائد الجيد

يسر مدير المشاة كما يسر كبار ضباط المشاة أن يكون الفائز الأول فى مسابقة الموضوعات العسكرية : الصاغ السيد فرج

« كتاب إدارة المشاة فى ١٩٥٣/٧/٤ »

هذه هى الحرب

إن مؤلف « الرياضة فى بلادنا » الذى طلب إلينا بالأمس أن نكون رياضيين أصحاء يطالبنا اليوم أن نكون عسكريين أشداء .

اللواء محمد فتوح

و

الدفاع عن الوطن
قاهر العالم تيمورلنك
فى شمال أفريقيا
الهجوم على أوروبا
العالم بعد الهدنة
حروب محمد على
أحاديث فى الحرب
أبطال العالم فى الملاكمة
الرياضة فى بلادنا

obeikandl.com

تصـــويب

صفحة	سطر	خطـأ	صـواب
١١	١٦	تغرده	محاسـنه
١٢	١٤	(السطر غير موجود)	ولكن. .نظرات لشوق فى الجندية والحرب ؟!
١٥	٤	منهـا	منـه
١٦	٤	ولكنها	إلا أنها
١٨	١٠	تقرءون	تقرئون
٢١	١٥	راعك	وراعك
٢٤	٥	وخلاصته	والاهتمام « بالضبط والربط » ، وخلاصته
٢٧	٩	حانت	حاقت
٣٣	١٣	كيف	ما
٣٨	٩	صرعه	صرع
٥٥	٨	تجارب	تجاريب
٨٢	١٥	فـآتاهم	فمساهم
٨٣	١٤	العـدوى	العِـدَى
٨٨	٤	ولدعاؤها	ودعاؤها
٨٩	٤	أعناقهم	أعناقهن
٩٣	١٢	أخير	أكثر
٩٤	١٦	بالجود	بالجُـرد
٩٩	١٣	الدور الذى له	الدرّ الذى لى
٩٩	١٥	وقعت	وقد وقعت
١٠٣	٣	واقتسارا	واغتصابا
١٠٥	٦	وعادة	وعادات
١٠٥	٨	خوضه	خوض
١٠٦	١	لنطعن	الطعن
١٠٦	٧	صوارم	صوارمه

obeikandl.com